

رواية
فتاة المول

نصر سليمان

"الفصل الاول"

ضح الحى الهادئ الذى يقبع فى قلب القاهرة العتيقة بصراخ و عويل وصوت أقدام متسارعة إلى شقة الأستاذ إحسان فى الطابق السابع بهذه البناية الفخمة المحاطة بعدة بنايات تم إنشاؤها على نسق واحد فى حى المعادى .. تلك البقعة التى تعد من أرقى أحياء القاهرة وتقع على الضفة الشرقية من نهر النيل بعيدة عن قلب العاصمة بحوالى عشرة كيلومترات جنوباً .. وهى من أهدأ مناطق القاهرة وأكثرها صمتاً ولا تزال تحتفظ بسماتها وخصائصها المميزة منذ إنشائها منذ أكثر من مائة عام عندما سكنها الباشوات والبهوات ونخبة الحكام فى بداية القرن العشرين .

استيقظ الجيران على صوت والدة هدير وهى تصرخ بأعلى صوتها مستتجدة بهم أن ينقذوا ابنتها الغارقة فى دماها .. وسرعان ما يهرع إليها عدد ليس بالقليل من أهل البناية وتكتظ الشقة بأعداد غفيرة من الناس .. والكلى يتسائل عما حدث وما أصاب هدير .. ويتلثم الأستاذ إحسان فى حديثه وخطواته ولا يكاد يعرف ماذا يفعل فى هذا الموقف الذى لم يكن يتخيل يوماً أن تضعه فيه ابنته أو يتعرض له فى حياته .. غير أن والدة هدير تجيب عنه الأسئلة التى انطلقت على كل لسان مستفسرة عما حدث .. بصرخة ملهوفة مستنكرة فى وجوههم جميعاً .. هدير انتحرت أنقذونا .. افعلوا أى شىء .. وبينما المهمة تسرى بين البعض .. ينبري البعض الآخر مواسياً .. فيما يتقدم أحدهم محاولاً الاتصال بالإسعاف لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .. وماهى إلا دقائق قليلة حتى يأتى المسعفون يحملون معهم أجهزتهم ويدلفون سريعاً إلى حجرة هدير وبخطوات سريعة مدربة ينقلونها على الحماله ويهرعون بها سريعاً الى سيارة الإسعاف مٌخلفين وراءها بقعة كبيرة من الدماء على فراشها كانت قد نزفتها بعد محاولتها قطع شرايين يدها والتخلص من حياتها بعد شجار عنيف دار بينها وبين أسرتها منذ أكثر من ساعة وارتفعت فيه الأصوات حتى سمعها الجيران القريبون من شقتهم .. وهو مالم يعتادوه من هذه الأسرة التى لم يعرف عنها سوى الرقى والاحترام .. وهو ماجعل الكثير يتسائل عن سر هذا الشجار العنيف بين هدير ووالديها ..حتى كاد البيت أن يتحول لساحة عراك .. وسرعان ما أن هدأت الأصوات قليلاً بعده ليفاجأ الجميع بصرخات الأم وهرولة الأب وتشتت ذهن حسام الطالب الجامعى الرقيق الذى اعتاد السكان على رؤيته ذاهباً إلى الجامعة أو النادي فى خطوات هادئة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة الرضا والبراءة .. وحسام هو الأخ الأصغر لهدير .. ويكونان مع والدهما ووالدتهما أسرة صغيرة تقطن هذا الحى منذ سنوات طويلة .. بل أن هدير وحسام قد ولدا فى هذا الحى وترعرا به فى نفس الشقة التى يقطنان بها حتى الآن ...

انطلقت سيارة الإسعاف تعوي بصوتها الذي يُقبض القلوب ويُولد شعورا غامضا في النفس ويجعل الدعوات تنطلق على الألسنة بالدعاء لمريضها بالشفاء. والاستعاذة من المصائب صغيرها وكبيرها .. وسرعان ما يخفت صوت السارينة المزعج بعد أن انطلقت السيارة بأقصى سرعتها تنهب الأرض نهباً وتقطع المسافات قطعاً لتصل في أقصر زمن إلى المستشفى لمحاولة إنقاذ هدير .. فهكذا دائما اعتدنا أن حالات الإسعاف تكون من الخطورة بحيث لا تحتمل التأخير أو التلكؤ .. ففي داخلها يسكن الموت .. وإن لم يسعفها الأطباء فسيكون الموت هو الأقرب إليها ...

هدأت الأمور بعض الشيء بعد أن غادرت الإسعاف المكان ورافقها والد هدير ووالدتها .. وخرج ورائهم بعض الجيران في سياراتهم الخاصة لمحاولة الاطمئنان على هدير وشد أزر والديها ... وأغلقت نوافذ الشقق في العمارات المجاورة بعد أن أَرْضى سكانها فضولهم وتتبعوا الصرخات التي انطلقت حتى مغادرة الإسعاف المكان وتأكدهم أن حدثا قد حدث وانتهت آثاره .. وانصرف كل إلى حاله .. فمنهم من واصل سهره خاصة من الطلاب .. يستذكر دروسه استعدادا للامتحانات التي بدأت منذ عدة أيام ولم تنتهي بعد ... وذهب البعض الآخر يكمل نومه فالساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل والكثير منهم يحاول أن يحظى بقدر من النوم حتى يستطيع الاستيقاظ مبكرا للذهاب إلى عمله الذي قد يبعد أو يقترب من السكن .. غير عابئ بما حدث لأسرة جاره الأستاذ إحسان .. فتلك المناطق التي يطلقون عليها الأحياء الراقية تختلف كثيرا عن نظيرتها الشعبية التي تكتظ بالناس والكل فيها يتداخل في شئون غيره ويربط بينهم نسيج واحد أقرب إلى روح العائلة أو القبيلة .. وإذا ما حدث مكروه لأحدهم وجدتهم جميعا يدا واحدة وقد التفتوا سويا حوله وكأن المصاب مصابهم جميعا .. غير أن الجيران هنا قد انصرف كل منهم إلى حاله ناسيين أو متناسيين ما حدث .. بخلاف عدد قليل من الجيران المقربين في العمارة التي تقطن بها هدير .. الذين أخذتهم الدهشة مما حدث وانتابهم الذعر أن يحدث هذا مع ابنة حيهم ومحاولتها الانتحار قاطعة شرايين يدها .. وكالعادة بدأ البعض منهم يتسائل عن السبب الذي يدعو فتاة مثل هدير للإقدام على الانتحار وهي في عنفوان شبابها وتعيش تلك الحياة المرفهة مع أسرتها ميسورة الحال .. ولا تعاني شظف العيش أو الحياة البائسة .. فما السبب الذي دفعها إلى فعلتها تلك بنفسها وأهلها في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. وكالعادة تباينت التحليلات والتعليقات كل تبع هواه .. فقد أخذ البعض يفسر ويستنج ويدعوا لها مرجعاً لمحاولة الانتحار لحالة نفسية سيئة ألمت بها .. أو لحظة طيش أصابها جعلتها تقدم على فعل لم تحسب له حساب .. وإن كان هذا تفسير البعض حسن النية .. فقد ظهر في عيون البعض الآخر نظرات خبيثة تشي بما يدور في خلدهم وتمتتع أسنتهم عن البوح به خشية ردود الفعل .. وتسري المهمة بين الجيران وبخاصة النساء منهم .. وسرعان ما ينصرف كل منهم إلى شقته مغلقا بابه عليه .. وربما خلد البعض للنوم أو انتظر البعض الآخر عل أخبارا تأتيهم تطمئنهم على هدير أو تضع نهاية لتساؤلاتهم وحيرتهم .

وما أن تصل سيارة الإسعاف إلى المستشفى حتى يتلقف هدير أطباء الطوارئ ويسرعون بها إلى غرفة العمليات ولا تكاد ترى أحدا إلا وهو يجري أو يسرع خطاه .. فتلك الممرضة تحمل عددا من أكياس الدماء .. وأخرى تسرع لاستدعاء احد الأطباء .. وتتحول الحجرة إلى خلية من النحل ذوات الرداء الأبيض .. الكل يعمل في صمت والكل يعرف مهمته وواجبه .. وتطول الفترة وهدير بغرفة العمليات .. وبخارج الحجرة ينتظر الأستاذ إحسان ووالدتها وشقيقها وعدد من الجيران .. الحيرة تنهش قلوبهم والقلق ينتابهم ولا يجدون أحدا يجب على أسئلتهم أو يطمئنهم على حالتها .. وان كانوا قد استشعروا خطورة الحالة من الزمن الطويل الذي قضته في حجرة العمليات وتلك الحركات الدؤوبة للأطباء والمرضى وتعمدهم عدم البوح بأي حديث حتى ولو كلمات قليلة عن الحالة وتوقعاتهم بالنسبة لها... وقد استشعر الأستاذ أحسان الخطر وأدرك أن ابنته لن تعود إليهم ثانية وبدأ يعد العدة ويفكر في الخطوات التالية .. وما يجب عليه فعله .. ومن يثق به بالعائلة لإخباره بالحدث حتى يقوم بإبلاغ باقي الأهل للحضور والاستعداد لإنهاء الإجراءات وتشجيع هدير إلى مئواها الخير .. وسرعان ما أخذ الفكر إلى منحى آخر وأثر موت هدير على والدتها مريضة القلب التي لن تحتل خبر مثل هذا وربما تلحق بها هي الأخرى .. فمنذ أن دخلت هدير العمليات ووالدتها لم تقوى على الوقوف أو الانتظار وأصابها أزمة أرقدتها هي الأخرى في غرفة مجاورة والأطباء معها يحاولون إفاقتها وإنعاشها والتخفيف عنها... ثم ماذا عن التحقيقات الرسمية .. فهدير ماتت منتحرة ولا بد من إبلاغ المستشفى للشرطة وتشريح الجثمان .. وأسئلة وأجوبة كثيرة وربما أصاب الاتهام تشير إليهم أو ينتاب احد المحققين ريبة في حديثهم حتى وان كان صادقا... يكاد عقل الأستاذ أحسان أن يشت منه .. وتكاد قدماه لا تقويان على حمله.. فقد استشعر هول المصيبة التي هم بصدها .. ففي ثوان قليلة تحولت حياته إلى بركان على حافة الانفجار إن لم يكن قد انفجر بالفعل وسرعان ما سوف تحرق حممه ولهبه حياته وحياته أسرته التي ضاعت منه في زمن أسرع من لمح البصر وبينما هو في هذه الحالة يخرج عليهم أحد الأطباء الشبان من داخل غرفة العمليات والجهد واضحا على وجهه .. ويبتسم ابتسامة خفيفة كانت كفيلا بعودة الروح إلى الواقفين ينتظرون كلمة تطمئنهم وتبعد شبح الموت الذي كاد أن يخيم على المكان ... ويشعر الطبيب بحالهم فيحدثهم مطمئناً ويبلغهم أن هدير قد تجاوزت مرحلة الخطر وهي الآن في حالة جيدة بعد أن شارفت الموت وكانت على قيد أنملة منه ... وأنها في الصباح سوف تفيق وتستعيد نشاطها

كلمات قليلة كانت كفيلا ببعث الأستاذ أحسان من جديد .. فقد ارتدى على أريكة في الاستراحة ووضع وجهه بين يديه وأجهش في بكاء حار .. وانطلق الدمع المحبوس طاردا كابوساً طبق على صدره واخذ ينهش في عقله حتى كاد أن يهوي ... حاول الأستاذ أحسان أن يتماسك قليلا حتى ينتهي من هذا الموقف بأقل الخسائر الممكنة .. فأوماً إلى ابنه أن يتوجه إلى غرفة والدته ويخبرها بنجاة هدير ويطمئنها على حالتها .. واتجه إلى احد الجيران ممن يثق بهم وأسر إليه ببعض الكلمات .. سرعان ما استجاب لها ..

وأخرج جواله وابتعد قليلا عن الواقفين واخذ يتحدث إلى احد الأشخاص ربما ممن لديهم نفوذ وكلمة مسموعة ... وسرعان ما عاد إلى الأستاذ أحسان يطمئنه إلى أن كل شيء تمام والأمور تسير على مايرام ...وقد كان ..حيث خرج إليهم احد المسؤولين في المستشفى بعد حوالي ساعة من الوقت واخبرهم انه كان من المفترض ابلاغ الشرطة وتحرير محضر بالواقعة ولكن تَدخُل هذا الشخص المهم جعل الأمور تأخذ منحى آخر وتتغاضى المستشفى عن هذه الخطوة .. ويطمئن الأستاذ أحسان أن الأمور تسير كيفما يريد ..ويتنفس الصعداء ويبدو مستريحا بعض الشيء بعد أن اطمأن على سير الأمور ..ويتوجه للجيران الذين حضروا معه ويقدم لهم الشكر ويرجوهم الذهاب إلى بيوتهم لكي ينالوا قسطا من الراحة ويكفيهم تعب الساعات الماضية وماقدموه له من خدمات .. خاصة وان بعض أفراد العائلة أخذوا يتوافدون على المستشفى بعد أن بلغهم الخبر ..وهو ماجعل والد هدير يشعر بالراحة وبأنه لم يعد بمفرده وكأنما ألقى الحمل إلى غيره يحمله معه ويشد من أزره .

استعادت هدير وعيها صباح اليوم التالي وأخذت تبكي بكاء مريرا والجميع يلتف حولها لمحاولة تهدئتها والشد من أزرها والتخفيف عنها ببعض الكلمات ..حتى استعادت بعض هدونها ... وعاودها الطبيب وأخذ يتبسط معها في الحديث محاولاً إضحاكها والخروج بها من الحالة النفسية السيئة التي تمر بها .. أخذ الطبيب والد هدير جانبا واخبره بضرورة عرض هدير على طبيب نفسي لمحاولة الوقوف على حالتها النفسية وعلاجها إن كانت بحاجة إلى علاج حتى لاتعاود محاولة الانتحار مرة أخرى .. ففي هذه المرة أمكن إسعافها ولأحد يدري عواقب المرة القادمة ... طأطأ الأستاذ أحسان برأسه علامة الموافقة على رأى الطبيب .. وسأله متى يمكنهم مغادرة المستشفى وتكون هدير بصحة جيدة ... أجابه الطبيب وهو يسرع الخطي متوجها إلى حالة أخرى وصلت إلى الطوارئ وأخذ ميكروفون المستشفى يطلبه للحضور الفوري .. بالمساء يمكنها أن تغادر .. وأسرع الخطي مختفياً من أمامه .

اكتظت المستشفى بالأهل والكثير من الجيران الذين جاءوا للاطمئنان على هدير ومتابعة حالتها .. وفي المساء تحرك طايبور طويل من السيارات خلف سيارة والد هدير وهى تقلهم ويقودها حسام بعد أن اخبره والده عدم قدرته على القيادة نتيجة المجهود الكبير الذي بذله منذ الأمس وحالته النفسية التي لاتمكنه من القيادة بأمان ... وقد كان .. ووصلت هدير إلى بيتها مع أسرتها وعدد كبير من الأهل ..احتضنتها والدتها طويلا واجهشتا سوياً في البكاء .. حتى تدخلن بعض نساء العائلة وفضوهن من بعضهن البعض.

جلس الجميع يتسامرون ويتبادلون الأحاديث المعتادة في مثل هذه المواقف .. ورويدا رويدا بدأت الشقة تملأ من الأهل والأقارب ولم يتبقى سوى جمال ..خال هدير الذي يكن لها حبا كبيرا وتربطهما معا علاقة روحية قوية وتتعلق به هدير وكثيرا ما تروي له أدق مشاكلها .. فقد ربطتهما صداقة وقرابة وكثيرا ماتفتح هدير قلبها تسرد له ما يقابلها في الحياة وتُطلعها على آمالها وأحلامها ..

خلدت هدير إلى النوم تحت تأثير المهدئات التي طالب الأطباء مواظبتها عليها فترة من الوقت حتى تعود حالتها النفسية إلى ماكانت عليه .. وجلس خالها مع والدها ووالدتها يتحدثون في تلك المصيبة التي حلت عليهم .. وما يمكن أن يفعلوه لتحاشي تكرار ذلك في المستقبل .. وهنا توجه خالها إلى الأستاذ أحسان يسأله عن السبب الحقيقي وراء محاولة انتحار هدير.

ويجيبه الأستاذ أحسان باقتضاب .. كما تعلم يا جمال إن ابنة أختك منذ طلاقها من وائل منذ ثلاثة أعوام وهي تشعر بالاختناق .. فقد اعتادت الانطلاق والحرية في حياتها .. وهي غير مدركة للتغيرات التي حدثت ووضعها الجديد بعد الطلاق .. ونظرة المجتمع للسيدة المطلقة .

أجابه جمال .. نعم أدرك هذا وقد ألمحت لها قبل ذلك وحاولت أن أوضح لها نظرة المجتمع للمرأة المطلقة .. وحاولت قدر المستطاع أن أتلف معها في الحديث وأن تكون نصائحي لها تلميحا وليس تصریحا .. فأنتم كما تعلمون مدى حساسية هدير وما يميزها من رقة الإحساس وصفاء النية التي ربما تحجب عنها الكثير من واقع الحياة التي نحياها .. ولكن ما الذي أوصلها إلى هذه الحالة وجعلها تقدم على الانتحار وهي المقبلة على الحياة وتملؤها الآمال والطموحات؟

تدخلت والدة هدير في الحديث محاولة الإجابة على سؤال أخيها فهي تعلم مدى تعلق هدير به واقتناعها بأرائه .. وكثيرا ما لجأت إليه تستشيريه في مواقف ومصاعب قابلتها في حياتها الماضية .. نظرت والدة هدير إلى أخيها وعينيها تفيض بالدمع .. وبصوت خافت يملؤه الحزن قالت إن ما أوصلها إلى مانحن فيه رفضنا القاطع سفرها إلى الدولة العربية التي تقيم فيها صديقتها عايدة مع أسرتها بعد أن أرسلت لها عقدا للعمل معها .. وبمجرد أن علمت هدير بهذا العقد حتى انقلبت حياتها رأساً على عقب وأصبح كل همها أن تسافر إلى هذ البلد وتعمل هناك ..

وهنا التقط الأستاذ أحسان الحديث من زوجته وقال بصوت لا يخلو من حزن وشجن .. وكما تعلم يا جمال مدى عناد ابنة أختك هدير وتمسكها برأيها حتى وإن كنا جميعا نرى عكس ماتراه .. فكما تعلم فقد عانينا جميعا من هذا العناد وصلابة الرأي عندما أصرت على الزواج من وائل زميلها في الجامعة آنذاك .. وأصرت على موقفها على الرغم من اعتراضنا على هذه الزيجة التي أدركنا جميعا أنها لن تكتمل لعدم التكافؤ في كل شيء ورعونة هذا الشاب الواضحة للعيان .. ولكنها أصرت وحاربت الجميع واتهمتنا

بالوقوف أمام سعادتها والعمل على قتل أحلامها .. وأمام إصرارها لم نجد بدا من الموافقة والانصياع لرغبتها .. وقد كان وصدق حدسنا .. وفشلت في زواجها الذي لم يستمر أكثر من ثلاث سنوات .. وحدث بعده الانفصال ولم تجني منه سوى لقب مطلقة ونحمد الله انه لم يثمر أطفالا لكانت المصيبة تزايدت وتفاقت .. ولقد عايشتنا في هذه الفترة وأنت تعلم كم المشاكل التي خلفها هذا الزواج .. وحالتها النفسية والعصبية والأمراض التي اجتاحتها .. وتصميمها على إنهاء هذه الزيجة والخلاص منها .. وكأننا نحن الذين زوجناها وأصررنا على زواجها ..

- أجابه جمال بدهشة ..

نعم أعلم كل هذا .. ولكن هذا الأمر كان منذ سنوات ليست بالقليلة وكانت هدير مازالت في مرحلة عمرية صغيرة لم تكن تدرك الكثير من خبرة الحياة .. ولكنها الآن في الثامنة والعشرين من عمرها .. وقد خاضت تجربة زواج فاشلة تعلمت منها الكثير .. وأيضاً عملها في الشركة التي التحقت بها أعطها خبرة كبيرة في التعامل مع البشر وفهم الحياة ومعاشية مشاكلها .. فليس من المعقول أن تكون هدير الآن هي هدير الأمس .. فالإنسان تصهره خبرة الأيام والسنين وكلما ازدادت تجاربه ازدادت معها خبرته وأصبح قادراً على الحكم على أموره واتخاذ القرارات الصائبة .. وإلا فما فائدة تجاربنا التي نخوضها ونفشل في بعضها ونجح في البعض الآخر ..

- نعم يا جمال .. معك الحق في حديثك ولكن هدير لا تسمع لأحد منا .. حتى أنا أبوها لا يقنعها حديثي وان كانت تتظاهر بغير ذلك ولكني أدرك هذا من نظراتها ومجادلتها الكثيرة التي تحاول بها أن تظهر صحة رأيها .. وتسوق لك الحجج والبراهين ولا تترك حتى تُصدق على كلامها وتستجيب لطلباتها ..

- نعم يازوج أختي أنا معك في هذا الحديث ولكن هذا لا يعني أن هدير إنسانة متحررة أو متمردة أو بها رعونة فكر أو أخلاق ... فجميعنا نعلم أنها إنسانة حاملة تمتلك مشاعر رومانسية تحلق بها فوق واقع الحياة التي نحيها .. وربما كان هذا سبب الحالة النفسية المتدنية التي ألمت بها منذ انفصالها عن وائل .. وشعورها بالفشل في مستقبل حياتها وقبل أن تبدأها وتفتح على العالم .. أنها فتاة رقيقة المشاعر وتتمتع بقدر كبير من الثقافة ويشهد بذلك كم الكتب الهائلة التي تكتظ بها مكتبتها وحجم ماتقرأ ومداومتها على ذلك .. وهي بذلك تخالف الكثيرات من بنات جيلها اللاتي ابتعدن عن القراءة والثقافة وجذبتهم الحياة بلهوها وترفها فابتعدن عن المفيد إلى حيث يجدن أنفسهن في توافه الحياة .. ولكن نحمد الله أن هدير لم تكن هكذا .. فهي إنسانة صالحة تؤدي ما عليها من فرائض وتلتزم بدينها ولا تعوق والديها .. وتستمع جيداً وتناقش بحكمة وتروي .. و محبوبة من الجميع لما لحديثها من احترام ووقار .. ثم أنها فتاة جميلة .. بل من أجمل بنات المنطقة والجميع يتهافت عليها .. ولولا رفضها فكرة الزواج بعد تجربتها المبكرة لكانت قد تزوجت منذ زمن وعاشت حياتها في سكون .. ولكنها تود أن تُقيم تجربتها وتختار على أساس سليم حتى لا تذوق طعم الفشل مرة أخرى .. وهذا ما أكدته لي مرارا وتكرارا في أحاديثنا الكثيرة ومع كل عريس يتقدم لها ونجد فيه الفرصة المناسبة ... وأنا عن نفسي احترم رأيها وقرارها ولا أود أن أضغط عليها في هذا الأمر فهذه حياتها ولها مطلق الحرية أن تعيشها بالطريقة التي تراها مناسبة لها .. وحتى لا تكرر فشلها وتنتهنا نحن بالسبب في هذا الفشل .. لذلك كان رأيي الذي أطلعتكم عليه بتركها تختار ما تشاء في الوقت الذي تختاره دون ادني ضغط أو فرض ..

- نعم يا جمال وقد تناقشنا سوياً كثيراً في هذا الموضوع أنا وأنت ووالدتها واقتنعنا بحديثك ووافقناك الرأي بعدم فرض شيء عليها .. لأننا نثق في فكرها .. ولكن ما نحن بصدده فاق كل الاحتمالات .. فهاهي تُصلب رأيها للمرة الثانية وتصر على السفر إلى

صديققتها والعمل معها في هذا البلد العربي المنفتح .. وترفض أى رأى يخالف رأيها .. وتعود بنا مرة أخرى إلى العناد الذي كدنا ننساه بعد أن انتهى زواجها من هذا الإنسان الأرعن غير القادر على تحمل المسؤولية وشخصيته العدوانية التي لم تقرأها إلا بعد أن تم الزواج لتفاجأ بشخص غير الذي عرفته وأحبته وعارضت الجميع كي تفوز بالزواج منه .. ثم تكتشف الحقيقة المرة ويصيبها ما يصيبها من خيبة أمل وفشل ذريع ويأس وإحباط في بداية حياتها .. إنها ياجمال تريد أن تعيد نفس الرواية بطريقة مختلفة .. فهي تصمم على السفر والعمل بعيدا عنا وترك عملها هنا وبيتها وأهلها .. وكما تعلم فهي ليست بحاجة إلى المال ولا إلى هذه "البهدة" التي تسعى إليها ... ماذا يفيدها السفر ولماذا الغربة وهي فتاة وحيدة لن يكون معها أحد بالخارج ولن تجد من يقف بجوارها أو يراعيها .. ثم ماذا عن حياتها ومستقبلها وزواجها .. هل تستمر هكذا وتعيش حياتها بلا زوج أو أسرة ؟ نحن لم نعتد هذا الوضع .. وهذا ما دفعنا لمعارضتها والوقوف ضد رغبتها في إتمام هذا السفر الذي ندرك مخاطره ومساوئه وهي ترى فيه الحياة والأمل .. ماذا نفعل ياجمال أشر علينا بالرأي فنحن في مأزق حقيقي لانجد له مخرجا ..

-- اتفق معك أستاذ أحسان ... إن المشكلة الحقيقية أننا في مفترق طرق .. وهدير لم نترك لنا الباب مواربا لمحاولة الوصول إلى قرار أو حل يتفق عليه الجميع .. وبعد أن أقدمت على الانتحار فالأمر أصبح جد خطير ... والأخطر من ذلك الأيام القادمة وردة فعلها التي لانعرف إلى أي مدي تسوقها .. فالانتحار لم يخطر لنا على بال إطلاقا ولم نتخيل يوما من الأيام أن تقع مصيبة كهذه في عائلتنا وتلوك الألسنة سيرتنا ويتحدث كل شخص بما يترأى له .. ولكن لو تركنا هذه النقطة جانبا فأننا يجب أن نأخذ قرارا سريعا حتى لاتفاجئنا هدير مفاجئة أخرى .. ونحمد الله انه قد سترها هذه المرة ولا ندري المرة القادمة ماذا في جعبتها وماهى النتيجة ..

- بكلمات اختلطت بالدموع توجهت أم هدير بالحديث إلى أخيها ..
- جمال لاتتركنا قبل أن تجد حلاً لهذه المصيبة .. فأننا لن احتمل شيئا آخر .. فقد كدت اليوم أموت بعد أن شاهدت هدير تسبح في بركة الدماء وأيقنت أنها النهاية .. وكاد قلبي يتوقف وأنا أرى الأطباء وهم يسرعون إلى الطوارئ حيث ترقد فاقدة الوعي والقلق والرعب يجتاح وجوههم .. لن انسي طيلة حياتي القادمة هذا المنظر الذي علق بذاكرتي وكأنه كابوس جاثم على صدري .. أرجوك حاول مع والدها أن تحلا هذا الأمر وتصلا فيه إلى قرار ..

- لا عليك يا أختي .. اهدئي أنتي فقط فمزلت لم تتعافين من الأزمة التي حلت بك .. فلا داعي أن ترهقي نفسك كثيرا وابتعدي عن التوتر والانفعال كما نصحك الأطباء .. وان شاء الله سوف نجد الحل الذي يريح الجميع ويضع نهاية لمعاناتنا جميعا .. دعوني الآن اطمئن عليها .. وسوف أحضر غداً للحديث معها بعد أن تكون قد استردت عافيتها من هذه الوعكة وأصبحت قادرة على استيعاب الحديث .

- كما تريد ياجمال ولكن لا تتأخر كثيرا فالأمر لا يحتمل أى تأخير ..

- نعم ياأختي أدرك ذلك تماما .. ولكن رجاء لا تتحدثوا معها في شيء حتى أرى ما في جعبتها وأصل معها إلى حل وقرار ..
- أجاب والدها .. لن نتحدث معها في شيء
- وأيضا لاداعي للومها أو تعنيفها على فعلتها ودعوها لحالتها فنحن لانعلم ما تعانيه وما يجتاحها جراء هذه الفعلة التي كادت تنهي حياتها ..
- نعم يا أخي .. لاتخشى شيئا فنحن نعلم ذلك ووالدها يدرك هذه المسائل جيدا .. لا عليك فقط لاتتأخر أكثر من يوم فنحن لاندرك ردة فعلها بعدما تدرك ما فعلته وما ألم بها ..
- نعم عزيزتي سأدخل أطمئن عليها قبل أن أذهب ..
أمسك جمال يد هدير يربت عليها بحنان وعطف كبير .. وقبل أن يتركها ليذهب فوجئ بها تفتح عينيها وتضغط على يده .. ابتسم لها ابتسامة مُطمئنة وخاطبها بطريقته المرحمة

..
- حمد الله على السلامة هدير .. طمأنينا عليك حبيبتي .. كيف حالك الآن؟

- الحمد لله ياخالى أنا بخير

- لقد أصابنا الرعب والهلع عليك هدير ..

- اعتذر ياخالى على كل ماسببته لكم من إزعاج وحزن

- هل تختبرين حبنا لك هدير أم ماذا تودين معرفته؟

- انها لحظة ضعف لكن الحمد لله ربنا ستر

- هل يعني هذا انها لحظة ضعف لن تتكرر ثانية؟

صمتت هدير ولم تجب وهو ماجعل الخوف يسيطر على جمال وينتابه القلق فيسارع إلى محاولة طمأننتها

- هدير لقد تحدثنا أنا ووالدك ووالدتك طويلا .. لاتقلقي حبيبتي لن يكون هناك داعي

لحزنك أو رفضك للحياة .. فالأمور ابسط من ذلك بكثير ... سوف أعود مرة أخرى غدا

.. وتكونين قد تعافيت ولنا سوياً حديث طويل نحاول فيه أن نجد الحلول لكل مشاكلك ولن

أتركك إلا وانت في أحسن حال ..

- أمسكت هدير بيد خالها مرة أخرى ونظرت إليه نظرة تطالبه بالجلوس .. وعاجلته

بسؤال سريع

- على ماذا اتفقت مع والدي ووالدتي؟ .. أريد أن أتحدث معك الآن .. فانا بخير وأعي ما

أقوله والحمد لله .. ولكن دعنا نحسم الأمور الآن .. فأنا قد وصلت لمرحلة من اليأس

والبؤس لم أعهدا في نفسي مطلقاً .. وأشعر أنى أكاد أجن .. فالكل ضدي ولا احد يستمع

لكلامي أو يقتنع بقراري ... ماذا فعلت حتى أعامل بهذه الطريقة ... نعم أخذت قرارا

خاطناً ودخلت في زيجة فاشلة .. ولكن هذا ليس معناه أن ادفع ضريبته طوال حياتي ..

وأن كل قراراتي وطموحاتي أصبحت خاطئة وتحتاج إلى وصى يُعدل عليها ويوافق أو

يرفض .. وكأنني طفلة مازلت لا أعى شيئاً في الحياة .. ماذا فعلت لكل هذا ياخالى ... أنا

لم اطلب المستحيل .. كل ما أردته السفر والعمل بدولة عربية مجاورة ... ليس حبا في

السفر .. بل هروبا من حياة أحاطتها التحكمات ونظرات الريبة والشك والكلمات القاسية

التي أتعرض لها ونظرة المجتمع إلى كل فتاة مطلقة وكأننا ارتكبنا جرماً يجب معاقبتنا عليه .. ولا أحد ينظر إلى الجرح الذي أصابنا والنزف الذي نعاني منه جراء هذه التجربة الفاشلة ..

ارتفع صوت هدير في حديثها واغرورقت عيناها بالدموع وخشي خالها من ان تعاودها حالة اليأس والاكتئاب فتقدم على محاولة الانتحار مرة أخرى او تصاب بحالة انهيار عصبي يريديها الهلاك ... فسارع يربت على يديها راجيا منها أن تهدي من روعها واعدة إياها أن يتحدث معها طويلاً بعد أن تكون قد أخذت وقتها من الراحة واستقر حالها ... غير أنها عاجلته بالقول إنها بخير وحالتها جيدة وتود أن تصل إلى قرار فيما تم الاعتراض عليه .. وأنها تستغل وجوده لحسم هذا الأمر ..

يصل صوت هدير إلى مسامع والدها ووالدتها فينتابهما القلق ويدخلان للاطمئنان عليها ومتابعة ما وصل إليه حالها ..

وما أن يجداها مستيقظة تتحاور مع خالها حتى ينظران إليه نظرة متسائلة .. فيطمئنها بكلمات قليلة ويخبرها انه سوف يتحدث مع هدير بعض الوقت وسوف يخرج لهما بعد ذلك ..

- استمع والديها لحديث جمال .. فابتسما لهما ابتسامة خافتة .. وخرجت الأم ثم دخلت مرة أخرى وفي يدها كوب من الماء أعطته لهدير ومعه قرص مهديء كان قد كتبه لها الطبيب وأعطتها إياه .. تناولته هدير وشربت كوب الماء واعتدلت قليلا في جلستها .. وأشار جمال لوالديها بلقطة منه أن يتركاها بمفردهما .. فغادرا الغرفة وتركاهما في حديث طويل بدأته هدير بقولها ..

- لقد تعبت من الحياة وأصبحت أعيش لا لشيء بعد أن ضاقت بي السبل وأصبحت محاصرة من كل الاتجاهات .. حصار بالقول .. بالفعل .. بالعين .. لقد مللت حياتي ... إننا لم نتحدث معا منذ فترة ليست بالقليلة .. ولكننا أصدقاء قبل صلة القرابة التي تربطتنا سويا .. وأنا أعدك من المقربين لي واعلم انك تفهمني جيدا .. وأنت على علم بالكثير عن حياتي سواء الشخصية أو الاجتماعية .. ولكن ما لا تعلمه أني قد وصلت إلى نقطة النهاية .. تلك النقطة التي جعلت الحياة تضيق بي لدرجة محاولة الانتحار وترك كل شيء .. حتى أني لم أفكر في تداعيات هذه المحاولة على والدي أو عائلتي أو حتى سمعتي .. هل تدرك معنى هذا ياخالي .. مع إنسانة مثلى تقدر لكل شيء قدره .. وتحسب لكل شيء حسابه .. هذا لايعنى سوى أني قد بلغت درجة من اليأس وفقدان الأمل أوردتني الهلاك وجعلت الحياة في نظري تضيق ولا تستحق أن أعيشها ..

- نعم يا هدير .. ولكن لماذا كل هذا .. ولماذا هذا الإحساس المفاجئ؟

- لم يكن مفاجئاً ياخالي .. فهو تراكمات على مدار الأعوام السابقة .. فلقد تحملت الكثير .. وأصابني الكثير . وحاولت أن أبدو متماسكة جلدة على الرغم مما أعانيه .. ولكن وصلت إلى مرحلة لم اعد استطيع فيها التحمل .. فكان لا بد من الهروب ..وقد اخترت الانتحار وسيلة للهروب ... والمشكلة الحقيقية أن الدافع مازال بداخلي ولم يبرحني قط .. وهذا ما أخشاه .

- نعم حبيبتي ولكن أين تكمن المشكلة الحقيقية .. دعينا نحاول الحل والوصول إلى ما يريحك ويزيح عنك هذا الإحساس .. لقد توقعت أن الفترة السابقة كانت كفيلة أن تنسيك فشل تجربة الزواج التي مررت بها .. ولكن ماذا جد في الأمور حتى يصل بك إلى هذه الحالة

- نعم ياخالي تغلبت على فشل تلك الزيجة .. ولكن تبعاتها مازلت تحوطني وتضيق على الخناق .. لقد أصبحت أسيرة هذه التجربة .. ولم أكن أعني يوماً أن تبعات أى مشكلة من الممكن أن تفوق المشكلة ذاتها .. فتوابع الزلزال دائماً ماتكون أقل قوة وأخف دماراً .. ومع الأيام تنتهي وتزول .. ولكن تبعات الطلاق تكبر وتتسع وتزداد مع الأيام حتى تشكل سجنًا كبيراً يحوطننا من كل جانب ولانجد لأنفسنا مخرجاً منه أبداً .. هكذا حالي وهكذا أنا أصبحت ..

- نعم ياهدير ولكن يا عزيزتي الأمور كانت تسير على مايرام وتعيشين حياتك الطبيعية دون أي تدخل أو ضغوط ..

- لا ياخالي هذا هو الظاهر للجميع .. ولكن من يعيش التجربة يشعر بمرارتها .. أنت لاتعلم حجم الحصار الذي أعيشه في البيت .. والتلميحات الجارحة التي تصل أحيانا إلى درجة التصريح .. وأنا لألوم أحدا أنهم أهلي واعلم أن خوفهم علي يدفعهم إلى ذلك .. ولكني لم أعد احتمل .. أستمتع لكلامهم ونصائحهم وكأنني طفلة صغيرة لا بد أن يتم توجيهها كل صباح حتى لاتقع فريسة لأحد ..

- شيء جيد انك تعلمين أن أسرتك تخاف عليك وان توجيهاتهم لك نابعة من حبهم لك ... فهم لم يقصدوا جرحك أو إيذاء شعورك ..

- نعم ياخالي وهذا ما يزعجني .. فأنا لا استطيع معاداتهم ولا ردهم ولا التعليق على توجيهاتهم .. ولكن كلماتهم تدبطني وتقطع أوصالي .. هذا بخلاف نظرات الزملاء والمعارف والمستظرفين من الشباب والرجال .. فالشباب صغار السن ينظرون إلى المطلقة نظرة الفريسة الواجب التهامها .. وينتهزون الفرص لإلقاء الطعم وصيد تلك الفريسة الجاهزة .. وكلُّ بطريقته .. فهذا بإلقاء بعض الكلمات والانتظار ربما تفعل مفعولها وتكون البداية .. والآخر ببعض النكات ذات الإيحاءات الصريحة .. وإذا عاتبته تعلق أنها نكتة لا يقصد منها شيء .. والآخر الأكثر جرأة يدخل في الموضوع مباشرة وكأن المطلقة بينا ليس له باب يدخله أى عابر سبيل بلا استئذان .. وهكذا دواليك .. أما الرجال ممن تعدوا مرحلة الشباب ومنهم المتزوج أو المطلق .. الكل منهم ينظر للمطلقة وكأنها سلعة منتهية الصلاحية ... سوف تُلقى نفسها في جوف أول ظمآن يريد أن يرتوي ويطفئ حرارة جسده وينعش روحه .. فجميعهم يريدون الارتباط والزواج وينتظرون الموافقة السريعة غير المشروطة .. وكيف تشتترط أو تفكر وهي المطلقة التي يجب سترها لتعيش تحت حماية ومظلة رجل .. أياً كان هذا الرجل لقد تعبت ياخالي من كل هذا وأصابنتي حالة من التبلد ورفض الزواج .. وكرهت محاولات الرجال وأنصاف الرجال .. وأغلقت قلبي وحياتي .. وربما هذا سبب عزوفي عن الزواج .. بعدما رأيت نظرة الطمع والاستغلال في عيون كل الرجال .. وهو مادفعني لمحاولة

الابتعاد .. غير أن هذه المطاردات التي ربما لاتخلو من بعض المكائد من هذا أو ذاك أو محاولة أحدهم إيهام الآخرين بوجود علاقة تربطنا سويا .. أو الافتراء بالحديث عني .. كل هذا أتعبني نفسيا وجنح بي عن طريقي .. ووضعني في خندق الدفاع عن النفس حتى أصبحت لا أعمل شيئا سوى انتظار الضربات الواحدة تلو الأخرى حتى أتلقاها وأحاول صدها والدفاع عن نفسي ... هذا حالي الذي وصلت إليه .. هل علمت الآن لماذا كرهت العالم من حولي وضاققت الدنيا في وجهي ..

- نعم هدير .. ولكنه حال كل المطلقات وجميعهن يقعن ضحايا جهل المجتمع وأفكاره الرجعية ولكنهن لايفكرن في الانتحار

- نعم ياخالي أتفق معك .. ولكنى لست مثلهن .. فأنت تعرفني جيدا .. وتعلم عني حسن الخلق والتربية .. ومدى ما أتمتع به من رفاهية الإحساس والرقي في التعامل .. وعدم مقدرتي الصد بقوة وابتذال كما تفعل الأخريات .. وربما هذا جعل الكثيرين حولي .. وزاد من محاولاتهم والتواء أساليبهم للفوز بي .. فالكثير يعتبرني صفقة رابحة .. ويستमित البعض للحصول علي .. وهذا مازاد من حجم المشاكل حولي ...وزاد من تحطم أعصابي وأوصلني لمرحلة لم أعد معها أتحمل المزيد ...

- ولماذا ياهدير لاتعيدين التجربة وتزوجين وتنتهين من هذا العذاب .. فأنتي إنسانة جميلة وبك كل الصفات التي يتمناها أي رجل ... لماذا لاتختارين الأنسب لك وتعيشين حياتك في استقرار وتبتعدين عن هذا العالم الغريب .. وأنا أعلم جيدا أنه قد تقدم إليك الكثيرون .. وكان منهم المناسب ومنهم من يمتلك من الصفات ماتتمناه اى فتاة لم تتزوج بعد .. لماذا رفضتهم جميعا حتى بدون ذكر أسباب ...

- نعم ياخالي معك الحق في قولك ... غير أني خشيت أن أعيد تجربتي الأولى .. وخشيت أكثر من الفشل في الاختيار ... فما أعانيه الآن كله يعود إلى تلك التجربة .. والى الاختيار الخاطئ الذي جلب لي كل هذه المصائب ... انه الخوف ياخالي .. فما زلت حتى الآن لا أستطيع أن أتحدث عن الجرح الذي أصابني في زواجي .. لأنني أدرك أن الجميع سوف يحملوني النتيجة لأنني أنا الذي اخترت وتمسكت باختياري وصممت عليه وعاديت الجميع ولم استمع إلى أحد .. نعم انه خطأ وقعت فيه .. ولكن لم يلتمس لي أحد حادثة السن يومها أو رغبة التجربة أو أي شيئا آخر ..و الجميع أراد أن يتنصل من مسئولية الفشل ويخلي يده تماما ويلقى بجميع التبعات على كاهلي ... نعم اعترف أنني السبب وأني أتحمل النتيجة .. ولكن اعتقد أنه كانت هناك طرق يمكن أن تعوق أو تمنع .. أو على الأقل تظهر عيوب هذا الشخص .. ولكن الجميع أخلى مسئوليته وتركني وأواجه مصيري وأتحمل نتائجه بمفردي فلا أجد من يواسيني أو يضمد جروحي .. فأصبحت كالطائر الجريح الذي تخلى عنه أفراد سربه وتركوه ينزف ويواجه مصيره وغادره الجميع إلى سبيلهم. ...

- ولكن ياهدير إنها سنة الحياة ولا بد لك من الزواج حتى تستقيم حياتك وتعودين إلى نفسك من جديد .. وأنت إنسانة على قدر من الثقافة والعلم وتعلمين جيدا أن كل شيء

يحتمل النجاح والفشل .. وانه بقليل أو كثير من الجهد يمكننا أن نحاول إصلاح حياتنا والتغلب على نقاط الفشل والعودة بحياتنا إلى الطريق القويم .

- كما قلت ياخالي .. كل شيء يحتمل النجاح والفشل .. ولقد فشلت مرة .. وكانت هذه النتيجة .. هل تعلم مانتيجة الفشل مرة ثانية و أصبح مطلقة مرتين ... هل تعني معنى ذلك .. وتبعات ذلك .. ربما لم تفكر فيه أو يخطر لك على بال ... ولكني أعيشه في يومي وفي حياتي ويسكن عقلي الباطن .. وأتخيل الفشل مرتين .. والطلاق مرتين .. وأعين الرجال ونظراتهم .. وحديث المجتمع .. وقيود الأهل ... وخوف الصديقات .. أشياء كثيرة لا أعتقد أن أحدا فكر بها .. ولكنها لم تغب عن بالي وتفكيري ... هل عرفت الآن لماذا أخاف من التجربة الثانية ... وهل عرفت لماذا أرفض كل من تقدم للزواج مني .. انه الخوف .. والرعب الذي يجتاحني كلما فكرت أو تخيلت هذا الواقع المؤلم ..

- نعم حبيبتي .. معك كل الحق .. من لم يعيش التجربة يظل بعيدا عن جرحها .. ولكن ياهدير لماذا تقدمين على الانتحار وأنت الإنسانة المتدينة العاقلة .. لماذا تضعين نفسك في تلك التجربة المريرة .. وتضعي اهلك وأسرتك في هذا الموقف الصعب .. وتجعلين الألسنة تلوك سمعتك وحياتك .. ألم تفكري في كل هذا ؟ ... أعلم أن هذا ليس وقت العتاب أو الحساب . ولكني أردت أن أضع حدا ونصل معا لنتيجة .. فما دمننا قد تحدثنا وتكاشفنا .. فلنحاول أن نصل لحل لهذه المعضلة التي نحن بصددھا والتي فهمت منك أن أسبابها لازالت عالقة ولم تنتهي بعد .. وهذا يعني إمكانية معاودة المحاولة .. وهو ما نخشاه جميعا ويكاد والديك أن يموتا كمدأ و غمأ وخوفاً كلما جال هذا الاحتمال على خاطرهما ... لقد علمت من والديك أن السبب الذي جعلك تقدمين على الانتحار رفضهما سفرك وعملك في الدولة الخليجية التي تعمل بها صديقتك .. غير أني لم اقتنع بهذا السبب لذلك أود أن اعرف منك السبب الحقيقي حتى يمكنني مساعدتك؟

- للأسف ياخالي .. هذا هو السبب الحقيقي ..

- هل من المعقول تحاولين الانتحار لمنعك من السفر والعمل بالخارج!!

- المسألة ليست هكذا بالضبط ياخالي ... لقد تحدثت معك عن مشكلتي الحقيقية حتى استطيع أن اربط بينها وبين السفر للخارج

- كيف هذا ياهدير .. أريد توضيحا أكثر ؟

- انه الهروب .. الهروب ياخالي .. الهروب بالسفر والابتعاد عن هذه الحياة والمجتمع الذي كرهت العيش فيه .. أنا لست بحاجة للعمل بالخارج .. ولا احتاج إلى المال .. ولم تكن الغربة يوما من الأيام على خريطة حياتي .. ولكن الآن وبعد كل مالاقيته .. وكل ماعانيته .. وجدت في السفر فرصة للهروب .. الهروب إلى آفاق جديدة .. عالم جديد ... حياة جديدة .. مجتمع لايعرف عني شيئا .. فر بما وجدت نفسي من جديد واستقامت حياتي و عُدت هدير التي تعرفونها ... هل أخطأت في ذلك ..

- لم تخطئي هدير ولكنك تعلمين مخاطر السفر وخاصة عندما تكون الفتاة بمفردها وصغيرة السن وجميلة مثلك .. هذه الأسباب تجعلنا نخشى عليك أشياء كثيرة .. فالغربة ليست بالشيء الهين ... والحياة خارج الوطن لها ضريبتها وصعابها التي ربما لا

تستطيعين تحملها .. إن رفض والديك له أسبابه ويجب أن تعي أنهم لم يرفضوا سفرك
تعنتاً أو لمجرد الرفض .. فهو رفض له مايرره .. واعتقد إن أحدا في مكانهما سوف
يفعل فعلتهما ويحاول أن يثنيك عن هذا القرار .. أنت لك وجهة نظر .. ربما هم لا يرونها
.. وهم أيضا لهم وجهة نظر ربما انت لم تقرئينها .. فلماذا لا تتبادلون الحديث ويفند كل
منكم حججه وبراهينه وتصلوا الى حل وسط يريح الجميع .
- لقد تحدثت معهم كثيرا وحاولت إقناعهم بكافة الطرق .. وأوضحت لهم أني سأعمل مع
صديقة لي هم يعرفونها ويعرفون أسرتها جيدا .. وهي تقيم مع أسرتها في تلك الإمارة
الخليجية .. وسوف أكون ملازمة لها .. وألجأ إلى أسرتها إذا احتجت إلى شيء .. وإذا
صادفتني المشاكل والصعاب فسوف أعود مرة أخرى .. وإن لم تصادفني ووجدت الحياة
التي أرغبها فسوف أكمل حياتي هناك إلى أن يجد جديد .. وسوف نظل على اتصال دائم
.. والمسافة بيننا وبين هذا البلد ليست بالبعيدة .. فيمكنهم زيارتي وقتما شاءوا .. بالإضافة
للإجازة التي سوف أقضيها معهم .. وتستمر الحياة دون خوف أو قلق ..
- وماذا إذا رفض والداك هذا السفر وأصرأ علي الرفض ؟
- لقد تحدثت إليك اليوم بكل ما يجول بخاطري .. وكل ما أحمله من آلام .. وصدقني
ياخالي إن ما يحمله صدري من أثقال وآلام يفوق قدرتي على التحمل ... ولذلك فليس
أمامي خيار للهروب من ذاتي سوى السفر أو الانتحار وليس لهما بديل ...
- نظر جمال إلى ابنة أخته طويلا .. وأخذ نفسا عميقا .. وربت على كتفها في حنان ..
وانتصب واقفا وتركها .. وأغلق الباب خلفه .
- انفرد جمال بوالد هدير ووالدتها ودار بينهم حديث طويل .. تخلله شد وجذب .. ومحاولة
إقناع .. ورفض .. وتردد .. وبعد أكثر من ساعة .. دخل جمال على هدير غرفتها وأغلق
الباب عليهما .. ونظر إليها نظرة لها مغزى .. وقال لها بابتسامة خافتة ..
- حبيبتي هدير .. حتى تعلمي مدى حبنا لك وثقتنا فيك .. فليكن الهروب إلى السفر ... فقد
وافق والداك على سفرك .. هلم استعيدي قواك .. واستعدي للسفر ...
- اغرورقت عينا هدير بالدموع وجلست في مكانها وحوطت خالها بذراعيها في عناق
طويل تخلله بكاء شديد .. جعل الدمع يتقرق في عينيه .. وسرعان ما يدخل والدها
ووالدتها ويتبادل الجميع العناق . وتذرف العيون دموع الرضا والحنين .

"الفصل الثاني"

جهزت أغراضي وحقائب ملابسي وأعددت نفسي لهذه الرحلة الطويلة التي تُفت إليها وحاولت جاهدة الفوز بها .. وها أنذا على قيد أنملة من تحقيق هذا الحلم الذي طاف بخاطري كثيرا ورأيت أن الحياة لا تستقيم إلا بتحقيقه .. فلم يكن من السهولة تحقيق هذا الحلم الذي راودني كثيرا .. واعلم علم اليقين أن وجود صديقتي وأسرتها في هذا البلد البعيد كان أحد الأسباب القوية التي دفعت والداي للموافقة على هذا السفر .. بالإضافة لمحاولة الانتحار الفاشلة وخوفهما من تكرار المحاولة .. وهذا مادفعهما للاستجابة لمطالبتي والرضوخ لرغباتي .. وعلى الرغم من تلك الموافقة ومباركتها لهذه الرحلة الطويلة .. غير أني أقرأ في عيونهم حالة من عدم الرضا التام .. فهم يرونها رحلة ليست ذات جدوى .. وأنى لست بحاجة إليها .. فما حاجتي للسفر والغربة والشقاء .. وأنا أعيش حياة منعمة بين أسرة متحابية .. وبحبوحة من العيش .. وعمل مستقر ... هذه كانت وجهة نظرهم .. ومع الحق في ذلك ... فلو حاول أحد رد هذه السفرية إلى سبب مادي ما استطاع أن يجد لهذا سبيل .. وهذا ما أردت أن أوضحه لخالي عندما انفرد بي قبل السفر وتبادلنا نقاشاً طويلاً بدأه بنصيحة من يخشى الغربة وآثارها .. حيث بادرني بقوله ..

- عزيزتي هدير .. هانحن قد استجبنا لطلبك .. وها أنتِ تتجهزين للسفر وقاربت الأيام أن تسرع بنا وتبعدك عنا ..

- نعم يا خالي .. أحاول أن انهي ارتباطاتي في الوقت القصير المتبقي .. فأنت تعلم أن عقد العمل حان وقت تنفيذه .. وإن تأخرت أكثر من ذلك ربما تضيع الفرصة .. وتأتي أخرى بديلة للعمل في هذا المكان .. فكما تعلم أن الفرص لاتأتي بسهولة ويجب اغتنامها سريعا ...

- نعم حبيبتي .. ولكن أريد أن أتحدث معك حديث الأصدقاء .. فقد استجبنا لرغباتك .. ووافق والدك ووالدتك على مفض .. وأنتِ تدركين حجم المعاناة التي يعانونها .. وكم ضغطنا عليهم كثيرا وسوقنا الكثير من الحجج والبراهين حتى تم اقناعهما بضرورة هذا السفر بالنسبة لك وإن كانوا لم يقتنعوا تماما ولكنهم وافقوا في النهاية وسمحوا لك بهذا السفر الذي سوف يبعدك عنهما طويلا وأنتِ تعلمين مدى خوفهما عليك وارتباطهما بك .

- نعم ياخالي أدرك ذلك .. والمشكلة الحقيقية أنهما لا يدركان حاجتي النفسية لهذه السفرية ويفسونها بالأسباب والاحتياج .. نعم أنا من هذه الناحية لا يلزمني سفر أو غربة أو عمل بالخارج .. ولكن من ناحية أخرى .. أريده وأتوق إليه كمنفذ يأخذني من هذه الحياة التي أعيشها مقيدة والأغلال تحيط بي من كل الجهات حيثما وأينما حللت .. قيود في البيت وفي العمل .. وفي الشارع .. أنا ياخالي أريد أن انطلق .. اشعر أني عصفور ضُرب حوله سور من الأسلاك وكسرت أجنحته .. فلم يعد بقدرته الطيران أو الحلم بيوم الحرية والخلاص .. وها أنا أرى الحرية أمامي تتفتح أبوابها .. فماذا تنتظر مني غير الانطلاق ومحاولة فك قيودي وكسر تلك الأغلال التي طوقت رقبتني خلال هذه الأعوام

الطويلة منذ طلاقي وحمل هذا اللقب البغيض الذي لم أدرك معناه إلا بعد أن عشته وأصبحت أسيرة له ..

- نعم هدير .. أقدر كل ماتقولينه .. وأكاد أشعر بمشاعرك .. ولكن حبيبتى .. حاذري .. هناك خيط رفيع بين الحرية والتحرر .. ونحن نثق فيك ثقة عمياء .. ولكن أحيانا ماتجرفنا الأمواج وتأخذنا إلى أعماق البحر ندور في دواماته ونتخبط تحت وطأة ضرباته .. حتى لانجد من أنفسنا شيئاً .. ولا نعلم لطريقنا هدفاً .. فاحذري حبيبتى .. واعلمي أنك تحملين في عنقك شرف وكرامة أسرة كاملة .. فقيود الفتاة لاتتكسر كلياً .. بل يبقى بها بعض الخيوط الحريريّة .. التي يجب أن تحافظ عليها .. وهى ليست قيودا بالمعنى الدارج .. ولكنها قيود فخر وكرامة تمنح الفتاة قوة وعفة وجمالاً .. وأنا أدرك أنك تعلمين هذا الفارق .. وستعملين على الحفاظ عليه .. حتى تعودين إلينا مصونة ...

- لاتخشى شيئاً ياخالى .. فأنا أعلم تماماً ماتود أن تنقله لي .. وتأكد أنى على يقين تام من هذا الفارق .. وأنا لم أصمم على الرحيل لألقى بعباءتي وأتحرر من معطفي .. فما قصدته التحرر النفسي وانطلاق الروح وكسر قيود النفس .. ولكن للجسد أغلاله أضعها بيدي وأحافظ عليها واقذف بمفاتيحها بعيدا حتى يظل محافظا على عفته وشرفه ... لاتخاف ياخالى وطمان والداي .. فربما لا استطيع الحديث معهم بصراحة كما اتحدث معك .. فأنا لم اعتد مناقشتهم في الأمور الخاصة .. واعلم انه ربما ينتابهم الحرج في التحدث معي مثلما نتحدث سويا أنا وأنت .. ولكنى أثق أنك خير رسول يمكنه أن يقوم بتلك المهمة بيني وبينهم ..

- لا عليك هدير .. سوف أتحدث معهم وأطمأن قلبهما وأزيل عنهما أي هواجس ربما تطوف بخيالهما .. فجميعنا نثق فيك ونقدرك .. ولكن وكما تعلمين نخشى وقع الغربة والوحدة وصحبة السوء ..

- عانقت خالى طويلاً ... وافترقنا ... وبعدها بعدة أيام غادرت القاهرة في رحلتي الطويلة التي اشتقت إليها بعدما ودعت أمي وأبي وأخي .. وتعانقنا عناقا حارا .. لم يخلو من البكاء وذرف الدمع ..

- بقدر اشتياقي ولهفتي ليوم السفر .. غير أنى وأنا أفارق أسرتي .. وانطلق بعيدة عنهم متوجهة إلى الطائرة بمفردي منطلقة إلى حيث لا أعلم وكأني طائر فتحت له الأبواب فانطلق لايدري إلى أي أرض ينتهي ولا في أي سماء يطير ... غلب عليه شعور بالخوف والرهبّة .. وظللت أكثر من أربع ساعات في الطائرة مبحلة العينين .. تتجادبني الأفكار .. وتأخذني يمينا ويسارا .. ولأول مرة أشعر بالتردد في هذا السفر .. وأحاول أن أعيد حساباتي .. هل كنت محقة في تصميمي عليه .. وماذا لو كنت مخطئة .. وهل هذه الغربة التي تنتظرني تستحق كل هذا العناء ومحاولة الانتحار .. وترك أهلي وعائلتي وحياة اعتدتها وعشتها وعاشتني ... والذهاب إلى مجهول وحياة لم اعتادها ولم تعتادني ؟

- سرعان ما أفقت وتساءلت .. لماذا الخوف .. ولماذا التراجع .. ولماذا الفكر ... فكما يقول المثل قد سبق السيف العذل .. وها أنذا معلقة في السماء .. شئت أم أبيت سوف أكمل الرحلة .. سألقى كل شيء وراء ظهري .. ولا أفكر إلا في القادم .. تلك الحياة التي

اخترتها وسعيت بل حاربت لأجلها .. فلا بد لي من حصد النجاح والعودة مرة أخرى إنسانة جديدة بعقل وروح متحررة .. ونفس زال داؤها وعلتها ... هاهى الحياة التي أبعيها قد بدأت وها هى الطائرة تحط أرض المطار وتبدأ رحلتي .. بل تبدأ حياتي الجديدة ...

- استقبلتني عايده وأسرتها الصغيرة .. والدها ووالدتها .. وشقيقتها هند تلك الفتاة الجميلة التي أراها كل عام في إجازاتهن السنوية .. والتي استطيع عن طريقها أن أميز طول المدة التي غابوها عنا .. فهى في المرحلة الثانوية حيث الشباب وانطلاق الجسد في الطول والعرض .. فكل عام أقرأ التغير على جسدها .. فقد سافرت وهى طفلة صغيرة وهاهى تقاربنا طولاً وعرضاً .. وكأننا الزمان يمر عليها ويقف عند باقي أسرتها .. لما لا وجميعهم قد اكتمل بنيانه وبناءه .. وبقيت هى تحاول الأيام أن تشد بنيانها وتضع لمساتها النهائية على جسدها لتتركها شابة تفيض جمالاً وانوثة ...

- كم شعرت بالسعادة عندما رأيت عايده وأسرتها في انتظاري .. واندفعت نحوهم أقبلهم واحتضنهم .. وضاع في دفىء مقابلتهم كل خوف ألم بي في رحلتي بالطائرة .. وكأني عثرت على الملاذ الأمن بعد رحلة تخوفت فيها من أن يبتلعني الضياع والمجهول ...

- طلبت من عايده أن لا أتسلم عملي في المول إلا بعد يومين .. فقد أردت أن أتأقلم أولاً مع هذه البلدة الرائعة و أجوائها وأماكنها قبل أن أبدأ العمل .. ووافقتني عايده الرأي .. بل زاد والدها على اليومين .. وابلغني أنى سوف أقضى أسبوعاً كاملاً أزور فيه المعالم الرئيسية للبلد وشوارعها ومبانيها .. ثم أذهب لتسلم عملي في متجر الهدايا الذي وقعت العقد على العمل به في المول الشهير ..

- كم كانت سعادتني وانبهاري بعظمة هذا البلد الخليجي الذي أخذ بأسباب التقدم والتكنولوجيا فصار في مقدمة الشعوب العربية بل أصبح يضاهى العواصم الأوروبية في جمال مبانيه وروعة معالمه .. حتى بات مقصداً ومزاراً سياحياً لمواطني العالم العربي والغربي أيضاً .. وبات يحج إليه السواح من كل مكان في العالم يتمتعون أعينهم وحواسهم بمناظره الجميلة وخدماته الجليلة

- كنت قد سمعت الكثير عن مدى التقدم الذي وصلت إليه الدول الخليجية وبالذات تلك الإمارة التي ملأ صيتها العالم شرقاً وغرباً .. ولكن لم يدُر بخلدي أن هذه البلاد قفزت تلك القفزات بل الوثبات الخيالية .. فقد أخذتني عايده في زيارة إلى المعالم الرئيسية لتلك الإمارة .. وكم بُهرت بعظمة المباني وفخامتها .. ووقفت طويلاً أمام العديد من الأبراج مشدوهة بروعتها وفخامتها .. وهالني أيضاً أتساع شوارعها ومبانيها .. والنظام الدقيق الذي تسير به المركبات على الرغم من الازدحام الشديد الذي يميزها ..

- يسر لنا الأمر أن نقف على معالم هذه الإمارة والتجوال في أركانها وجود سيارة مع صديقتي عايده ... لم تكن سيارة بالحجم الكبير الذي يميز السيارات الفارهة هنا في هذا البلد والتي تتطلق سريعة تجوب الشوارع .. ولكنها سيارة حديثة جميلة .. وكانت عايده سعيدة بها .. وكم ساعدتنا تلك السيارة على التنقل من مكان إلى آخر وزيارة الأماكن السياحية المتباعدة في فترات قياسية .. واستطعت خلال عدة أيام قليلة الإلمام بطبيعة الحياة هنا .. وأعدت قليلاً حرارة الجو الشديدة والرطوبة العالية خاصة بالقرب من

شاطئ الكورنيش أوفي تلك الحدائق الغنية التي تمتد أمام عينيك بأشجارها الخضراء الجميلة على مساحات مترامية الأطراف ..وقد ذهلت عندما رأيت تلك المساحات الخضراء وهذا الكورنيش الرائع ولم أجد من البشر إلا القليل مما يعدون على أصابع اليد الواحدة .. حتى أنى قارنت بين الوضع هنا والوضع في مصر .. فلو وجد هذا الكورنيش بحدائقه الرائعة في القاهرة أو إحدى المحافظات لكتظ بالناس وامتألت جوانبه حتى يضيق بهم ويصرخ مستنجدا من هول الازدحام الذي يشهده .. وقد طاف كورنيش نيل القاهرة على ذهني وعقدت مقارنة بسيطة بينه وبين كورنيش الخليج .. وكانت النتيجة ضحكة هستيرية أطلققتها وأنا أسير بجوار عابدة لاستحالة المقارنة وهو مادفعها للضحك مجاملة لي والسؤال عن سبب هذه الضحكة المفاجئة ..

- أدركت أن الحياة هنا تختلف كلياً عن الحياة في مصر .. فطبيعة المناخ تفرض على الناس حياة تكاد تسير على وتيرة واحدة .. ففي نهار اليوم لا تكاد ترى أحدا يسير على قدميه فلا شيء سوى السيارات تمرق أمامك سريعة متلاحقة يتساوى في ذلك المواطنون من أبناء البلد والمقيمون ممن جاءوا للعمل أو السواح الذين تكتظ بهم الإمارة بعد أن تحولت في السنين الأخيرة إلى مزار سياحي يقصده الغرب والشرق .. وغالبا ماتكون فترة النهار دوام عمل حيث الجميع في أماكن عملهم يقومون بالأعمال الموكولة إليهم بهمة ونشاط ..وغالبا ما يستمر العمل حتى وقت متأخر من المساء إلا في بعض المصالح الحكومية التي ينتهي عملها بعد الظهرية .. وفي فترة المساء تكون "المولات" المنتشرة هنا هي المقصد والملاذ للجميع .. فتمتلئ بالبشر ممن يأتون للتسوق أو التنزه أو الترويح عن النفس .. فالمولات هنا ثقافة شعب .. اقيمت لتحل محل أماكن اللهو والترفيه والتسوق التي تتواجد في البلاد الأخرى مثل مصر .. فلامجال هنا للتنزه أو السير في أحد الشوارع لشراء الأغراض أو الملابس أو غير ذلك إلا في أقل القليل ... وكم أسعدني ذلك فالعمل في المول سوف يتيح لى الوجود في قلب المعمة وبين الناس في كل الأوقات وهو ما أسعى إليه وأصبو إلى تحقيقه ..

- غير أن مالفت انتباهي حقيقة وأثار انتباهي هو ذلك المجتمع الخليط الذي امتزجت فيه كل الأجناس .. ففيه أصحاب البلد من المواطنين وهم قلة قليلة لا تكاد تراهم كثيرا .. ويميزهم زيهم الرسمي الذي يرتدونه نساء كانوا أم رجالا .. ويقابلهم في الجهة الأخرى عدد لا حصر له من الجنسيات الأخرى ممن جاءوا بحثا عن عمل أو ممن حصلوا على الإقامة بعد فوزهم بإحدى فرص العمل النادرة هنا .. وكان يغلب عليهم الجنسيات الروسية والفلبينية والهندية .. وعدد لا بأس به من الجنسية المصرية ممن استوطنوا هذه الإمارة وراقت لهم الحياة فيها فبعضهم استبدل حياته بمصر بالحياة هنا .. ورأى أنها فرصة لجمع المال والعيش في حياة رغبة سهلة ... وكان ما أسعدني حقيقة أن وجدت كل تلك الأجناس الشرقية والغربية في تلك البقعة الصغيرة .. وثقافتهم المختلفة .. وشد انتباهي تفاوت ما يرتدونه من ملابس فالبعض يرتدى ما يغطى به جسده كاملا .. والبعض الآخر لا يكاد يغطى سوى جزء ضئيل من جسده .. وهناك فتيات رائعات الجمال وجمالهن شاهق ناطق خاصة الروسيات منهن .. ونساء أخريات لا تكاد تفرق

بينهن وبين رجالهن في ملامح الوجه والصلابة والتيبس.. ولكن أهم ما يميز الجميع هذا الاحترام المتبادل والرقي في التعامل .. وانشغال كل شخص بنفسه وأحواله .. وكأنما جميعهم وزعت عليهم أوامر بإتباع نظام معين يجب عليهم جميعا الامتثال له والعمل في ظله ...

- اقترب الاسبوع من نهايته .. وكنت قد كونت فكرة لا بأس بها عن هذه الإمارة .. وتعرفت على معظم معالمها الكبرى .. ورسمت في رأسي خريطة لأماكنها وشوارعها .. والأهم من ذلك زوال الرهبة التي كانت تلازمي وتملئ نفسي عند قدومي الى هنا .. وأصبح يتملكني شعور أنى جزء من نسيج هذا المجتمع . وان انتمائي لهذه الحرية التي افتقدتها في مصر واجدها هنا في كل مكان وكل شيء حولي .. وكم كانت سعادتني بهذا الإحساس الذي تملكني .. و أصبحت أسيرة لهواه .. وكم سعدت به واستبشرت خيرا بهذه الرحلة التي كنت أتوق إليها .. واشتعلت نفسي حماسة للعمل والاستقرار وبناء حياة جديدة على أرض الحرية بعيدا عن القيود والتحكمات وأغلال تدمي القلوب قبل أن تترك أثارها على الجسد ...

- خلال هذه الفترة تلقيت العديد من المكالمات من والدي ووالدتي وخالي للاطمئنان على أحوالي ومتابعتي .. وكنت أطمئنهم وانقل لهم سعادتني وأروى لهم ما أشاهده وانطباعي عن هذه المشاهدات .. وكنت استشعر في البداية مدى قلقهم وخوفهم ولكن مع الأيام بدأت وتيرة القلق تهدأ وتحل محلها السكينة والقناعة بالوضع القائم ...

- مع نهاية الأسبوع بدأت استعد لاستلام العمل الجديد في المول الذي تعمل به عايدة في احد محلات هدايا أعياد الميلاد وأدوات الزينة وغيرها من الهدايا مما لا يستغني أحد عن شرائها .. ومع اقتراب يوم العمل بدأت أتوجس خيفة وينتابني بعض القلق .. فالعمل جديد بالنسبة لي .. ولم يسبق لي التعامل المباشر مع الجمهور .. وخاصة أن الجمهور هنا متعدد الجنسيات واللغات .. وإن كانت عايدة قد أخبرتني أن اللغة الدارجة هنا مع الجميع تقريبا هي اللغة الانجليزية.. الكل يتعامل بها بقدر تحصيله من كلماتها ومعانيها .. والجميع يحاول أن يتفاهم بها مع بعضه البعض وهم يعلمون أنها لغة التخاطب التي تحل محل لغاتهم الأصلية .. وقد تغني عن لغة الخرس أو لغة الإشارة .. وان كانت لغة الإشارة لها مكان في بعض الأحيان عندما يتعذر التفاهم بأي لغة أخرى

- تنامى إلى سمعي دقات قلبي تكاد تصرخ ونحن في طريقنا إلى المول التجاري الذي سأعمل به .. وبينما والد صديقتي عايدة يكيل لي النصائح أثناء تواجدها بالسيارة في طريقنا إلى المول .. وكلما تجاوزنا احد الشوارع واقتربنا من المول تتسارع دقات قلبي .. خوفا بل ورعبا من هذا العمل الذي أباشره للمرة الأولى في حياتي ..لم أكن أظن أن للغربة والعمل بها رهبة تصل إلى هذا الحد .. ولم يستطع وجود دعاء ووالدها معي أن يبعد عنى هذا الشعور أو يخرجني من مستنقع الخوف الذي أعيش فيه .. وان كنت أظاهر معهما بالقوة والصلابة .. وأتبادل معهم الابتسامات .. وأرد على حديثهم وأنا غائبة عنهم في عالم آخر .. وكأنني أساق إلى يوم الحشر والحساب وسأقف وحدي بعد دقائق قليلة أواجه الحساب والعذاب بمفردي .. وها نحن نقرب من المول الذي أصبح على مرمى

البصر و نقف بالسيارة في الموقف الخاص بالسيارات .. ونصعد ثلاثتنا إلى الطابق الثاني عبر سلم كهربائي متحرك .. وعنده تتركنا عايدة للحاق بعملها .. ونذهب سويا أنا ووالدها إلى المتجر الذي اعمل به .. يتبادل والد عايدة بعض الكلمات مع إحدى العاملات بالمتجر ويسلمني لها .. ويتحدث معي حديثا مطمئنا ثم يغادر المكان متوجها إلى عمله ... وأظل مع تلك المرأة التي علمت من حديثها أنها المسؤولة عن العاملات في المتجر وترتيب وردياتهن وإجازاتهم والتنسيق فيما بينهم في الأعمال الموكولة لهم ... - قضيت يومي الأول أحاول أن أتحمس المكان .. وألم بمحتوياته .. فالمتجر متسع بعض الشيء .. ويكتظ بالهدايا وأدوات الزينة .. ويعمل به أكثر من سبع بنات من جنسيات مختلفة .. منهن المغربية والهندية والأوكرانية والجزائرية وواحدة مصرية ... حاولت أن أحافظ على الهدوء والالتزان في تصرفاتي.. وعمدت إلقاء التحية على الجميع حتى امتص صدمة التعارف الأولى ... وكنت ادقق النظر .. وأحاول استيعاب الموقف وملاحظة ردود الأفعال على الجميع حول وجودي بينهم .. وبطبيعة الحال توجهت إلى صباح .. وهي المصرية الوحيدة التي تعمل بينهم .. وحاولت أن أبدأ معها الحديث فهي من بلدي والأقرب لي من بينهم .. تحدثت معها ببعض الكلمات الحميمة وكأني اعرفها منذ زمن .. وألمحت لها رغبتني أن نصبح أصدقاء وتربطنا علاقة قوية .. وطلبت منها با بتسامة ودودة الوقوف معي ومساندتي وأن تكون لي قائدا حتى أتعرف على المكان وألم بكل مافيه وأصبح قادرة على التكيف والتلائم مع أجوائه .. غير انه ما أثار انتباهي وزاد من دهشتي ذلك الفتور الذي قابلتني به صباح .. وردودها الجافة .. وكأنما أرادت أن توعز وتلمح لي الابتعاد عنها وتركها في حالها .. وهوالم استوعبه ولم أحاول معرفه سببه .. ولكن حاولت أن التمس لها العذر فربما يكون لديها من المتاعب ما يحملها على ذلك ويجعلها في هذه الحالة من التجهم والصلف .. و دفعني ذلك للابتعاد عنها ومحاولة التعرف على المكان والأحوال بمفردي دون الاعتماد على احد ... وماهي إلا دقائق معدودة حتى امتلئ المتجر بالزائرين والمشتريين وانشغلت كل فتاة في مكانها تقدم مالدورها وتعرض بضاعتها وتحدث مع الزبائن .. وانشغلن جميعهن عني .. وظللت بمفردي في احد الأركان لا اعلم ماذا افعل ...وقفت حائرة مايزيد عن الساعة .. انظر في كل الاتجاهات وأحملق في عيون الزميلات تارة .. وتارة أخرى انظر إلى زبائن المتجر وأتفرس وجوههم .. ولكني لا استوعب أى شيء .. فقد شعرت أني تائهة وكل الأشياء تساوت أمامي وتلاشت معالمها .. فلم يتبقى لي سوى نظرات زائغة ..لاتركز في شيء ولا تعني شيء .. وانتابني شعور أنني لن أكمل يومي في هذا المكان .. وسوف أتحين أول فرصة وأفر هاربة بعيدا عن هذا المول وهذا المتجر الذي ابتلعني وكدت اغرق بين ثناياه وتبتلعني دواماته ... ماذا حدث لي ؟.. هل هذا ماسعيت إليه .. هذا التوهان والضياح هما ماكدت أن افقد حياتي لأجلهما .. هدير التي كانت مطمع العيون وملتقى الأصدقاء وملكة المكان .. أي مكان تذهب إليه .. تضعي هكذا وتصبح صفرا على الشمال ليس له قيمة ولا أحد يشعر بوجوده إن وجد ولا بحذفه إن حذف .. تسارعت الأفكار في عقلي كموجات برق سريعة تضرب رأسي وسرعان ما تنحصر .. لتعقبها موجات

أخرى من الأفكار .. وجميعها أفكار متضاربة ومشتتة الاتجاهات .. وبقدر سخونة الأفكار التي تُولدها طاقات صواعق البرق .. كنت أتوق إلى بعض مياهاها تسقطها أمطارا تحاول أن تلتطف من تلك الحرارة التي بدأت تجتاح رأسي ثم جسدي وتجعلني كالمحمومة التي تهذي بأفكارها وخيالاتها ...

نظرت إلى صويحباتي .. وعجبت أن الابتسامة لاتفارق وجوههن .. ويتعاملن مع الزبائن بمختلف جنسياتهم ولغاتهم بكل كياسة ولباقة وبساطة .. ورأيتهن يتحركن بكل خفة وليونة .. وحالة البيع والشراء تسير بطريقة سلسة وميسرة .. والجميع في حالة دؤوبة من العمل والانسجام ... تساءلت مع نفسي .. لماذا التجهم البادي على وجهي .. ولماذا تلك الحالة التي تعتريني .. وهل أنا حالة استثنائية؟ .. لم اعد قادرة على الحكم على الأمور وتقييم الموقف .. فالأمور جميعها تسير بسرعة وبطريقة شبه ديناميكية ... وطبيعة العمل لاتعطيك أريحية من الوقت تحلل الأمور وتستوعب المواقف ... فنحن في ساقية لا بد لك أن تتحرك مع تروسها وتدور مع دورانها .. ولن تسمح لك بالتوقف أو التقاط الأنفاس ...

- أخذت أدور بعيني يمينا ويسارا .. وأوجه نظري إلى المرأة التي تحدث معها والد عايدة علني أجد عندها الحل وتجيب على أسئلتني .. وكم من مرة التقت أعيننا سويا .. ولم يحدث شيء .. ولم تحرك ساكنا ... حتى كانت إحدى النظرات التي لمحتها فيها وهي تشير إلى إشارة مغزاها أن أترك مكاني وأقف في أحد الأركان البعيدة إلى حدا ما عن الازدحام الذي اخذ بكل جوانب المتجر بعد أكثر من ساعة من افتتاحه .. التقطت تلك النظرة وكأنها طوق النجاة .. أسرعت إلى الركن الذي أشارت إليه بعينيها .. وقابلتني فيه زميلة مغربية عرفنتني بنفسها سريعا ...

- اسمي لارا .. مغربية الجنسية .. واعملى هنا منذ خمس سنوات .. وعملت بجميع أقسام المتجر .. ومسئولة حاليا عن هذا الركن من المحل .. وقد أوعزت لى "لينا" أنك سوف تعملين معي في هذا القسم من المتجر .. وسوف نتعاون سويا إن شاء الله...
- تنفست الصعداء .. وحمدت الله أن وجدت مرسى أخيرا .. واستطعت أن امسك بطرف الخيط ... بادرتها بقولي ...

- ومن تكون لينا؟؟
- لينا هي المسؤولة عن إدارة هذا المتجر .. وقد أوكل إليها صاحب المتجر الإدارة والتنظيم وكل ما يخصنا .. وهى جزائرية الجنسية .. وتجيد الإدارة .. ولها فراسة قوية .. وتعرف ماتقوم به جيدا .. ومن حسن حظنا أنها في مثل عمرنا .. لذلك نستطيع التفاهم معها ونحاول سويا أن نحل مشاكلنا في وجودها ...
- لارا .. لماذا هذا القسم خالي من الزبائن دون بقية الأقسام الأخرى ..

- ابتسمت لينا ابتسامة خافتة .. وهمست لي ..
انتظري هدير .. لا تأخذك المظاهر .. فلكل شيء وقته ... وبعد قليل سوف يأتي زبائن هذا القسم ... فغالبا ما يأتين النساء قبل الظهر لشراء مستلزماتهن من زينة أعياد الميلاد

والأفراح والبضاعة التي يكتظ بها هذا الركن .. فلا تتعجلي الأمور .. فطبيعة العمل في هذا البلد تصنف زبائننا .. فزبائن أول اليوم يختلفوا عن آخره .. وزبائن الأيام تختلف عن بعضها البعض ... فالجميع هنا يعمل .. ولكل منهم عمله ووقته الذي يستغله في الشراء أو التنزه أو التسوق أو غير ذلك ...
- نعم لارا .. ماذا يجب علي عمله الآن ..
- قفي بجوارى .. وشاهدي ماذا افعل .. وساعديني في تناول الأشياء .. ومحادثة الزبائن ... ولا تخشي شيئاً فأنا معك حتى تتمكني من الإلمام بالعمل .. وإدارة المكان معي ..

ابتسمت لها ابتسامة رضا وشكر .. ووقفت معها بعض الدقائق .. وسرعان ما بدأت الزبائن تتوافد على ركننا ... حاولت أن أعين لارا .. وقفت مع إحدى الزبائن .. وكانت بريطانية الجنسية .. استطعت أن أتحدث معها بطلاقة .. وفهمت ماتريد شراءه .. واستعنت بزميلتي لارا .. فوجهتني ووقفت معي بعض الوقت .. واستطعت أن اتمم أول عملية بيع في حياتي وابتعت لها ماتريد من هدايا .. ووقفت سعيدة بما حققته .. وقبل أن أفيق من سكرة الفرحة .. فوجئت بزبونة أخرى اعتقد إنها فلبينية أو اندونيسية .. لا أدري .. ولكنها لاتجيد من الانجليزية إلا القليل جدا .. حاولت التواصل معها ومعرفة طلباتها .. غير أني فشلت فشلا ذريعا .. واستطاعت هي أن تقرأ الحيرة في عيني .. فتركتني واتجهت مباشرة إلى لارا .. التي استمعت إليها بابتسامة واثقة .. وقامت بإحضار طلباتها وتلبية احتياجاتها وماهى إلا ثواني قليلة حتى أنهت الأمر وغادرت السيدة المحل .. و تركتني أمصمص الشفاه من الخيبة التي وقعت فيها .. وتمر الساعات سريعة ويزدحم ركن الهدايا الذي أعمل به .. وأتوه بين زبائنه .. أليي طلبات هذه .. واخفق مع الأخرى .. ومع نهاية الفترة الصباحية .. ودخول وقت الغذاء كان قد تملكني التعب .. وغلبني الجهد النفسي و العصبي الذي عشته طيلة اليوم .. وما أن أخذنا وقت الراحة للغذاء حتى انطلقت مسرعة إلى حيث توجد عايذة تتناول غذائها في ركن المطاعم بالطابق الثالث بالمول .. اتصلت بها على الجوال وحددت لي مكانها .. ذهبت إليها مسرعة وأمسكت بيديها وكأني احتمى وألوذ بها مما أنا فيه ...

- حاولت عايذة أن تهدي من روعي .. وان تبسط الأمور .. وتحدثت كثيرا ونحن نتناول غذائنا .. وأخذت تروي لي عن أحداث سريعة واجهتها في بداية عملها .. واحباطات تعرضن لها صديقاتها في عملهن .. في محاولة لتشجيعي والشد من أزرى .. حتى انتهينا من تناول غذائنا وقضينا معا بعض الوقت في احد "الكافيهات" نتناول قهوتنا .. ثم افترقنا كل منا إلى مكان عملها ...

- عدت إلى العمل وقد شعرت ببعض الراحة .. فقد أصبح لليوم معالم .. وهاهو كاد أن ينتهي وأسمع أذان المغرب ينطلق .. وتمكنت من البيع وتلبية الطلبات لعدد كبير من الزبائن .. واعتدت بعض الأشياء التي كنت أجد فيها صعوبة كبيرة في البداية .. وساعدتني لارا كثيرا وامتصت جزءا كبيرا من حالة القلق التي كانت تتتابني كلما أخطأت أو صادفتني معوقات ..

- وكما قالت لارا في بداية اليوم .. فقد اختلفت نوعية الزبائن مع كل وقت من أوقات النهار .. وظهر الفارق جلياً بعد وقت العشاء .. فزوار النهار مختلفون كلية عن زوار المساء والليل .. وقد أوضحت لارا الفرق .. وكشفت لي أن زبائن النهار معظمهم جاءوا للتسوق والشراء فقط .. بينما زوار المساء الكثير منهم جاء للتنزه بعد أن يكونوا قد أنهوا يوم العمل .. وأرادوا أن يزيحوا متاعب يوماً حافلاً بالجهد والمشقة .. فيأتي كل منهم إلى المول ربما للتنزه أو لتناول العشاء مع أسرته أو بمفرده .. أو الجلوس في احد الكافيهات لتناول مشروباً ساخناً أو بارداً .. وغالبا ماتكون ذروة الازدحام في المساء حيث الجميع قد عاد من عمله وأخذ قسط من الراحة وخرج إلى المول

- أنهيت يومي الأول في عملي بالمول .. وانتظرت ساعة الإغلاق على أحر من الجمر .. ووقفت انتظر عابدة أن تمر بي لنغادر سويا إلى بيتهم .. وفي الطريق ألقيت رأسي على مسند مقعد السيارة وكأني ألقى معها حملاً ثقيلاً كان جاثياً فوق صدري .. عشت لحظات صمت أحاول أن أتخلص من تبعات هذا اليوم الطويل .. وأنسى أحداثه التي مرت بي .. حتى يمكنني استيعاب الموقف والإلمام به .. وبينما أنا غارقة في تلك اللحظات الحاملة .. قطعت عابدة السكون بسؤال كنت انتظره ...

- هل أعجبك العمل يا هدير ..؟

- صمت برهة .. وأجبت بفتور .. لا أعلم ..

- تبسمت قليلاً .. وأردفت .. لا عليك غدا سوف تعتادين العمل .. وتعتادين المكان ..
وتصبح الأمور أيسر مما تتوقعين ..

- نعم يا عابدة .. ولكني أشعر بالإرهاق الشديد .. فعدد ساعات العمل طويلة جدا مقارنة بيوم العمل في مصر .. وهذا شيء لم أعتده ..

- نعم يا هدير .. ولكن هذا هو نظام العمل في هذه الإمارة .. ومع الأيام تعتادين عليه ..
- ربما يا عابدة .. ولكني شعرت أن الأمور لاتسير كيفما تصورت وهياً لي خيالي ..
فالأمر يبدو أصعب مما كنت أظن ..

- لا عليك هدير .. دعي الأيام تمر .. وسوف تعلمين أن ما أقوله لك هو الصحيح وأن التعود سوف يبسر الأمور .. خاصة عندما تعتادين المكان .. وتزداد معرفتك بزميلاتك في العمل .. فكل شيء في بدايته صعب ..

- نعم نعم .. إن زميلات العمل بهن تناقضات كثيرة .. وكل واحدة تختلف عن الأخرى اختلافاً شديداً .. فلم أجد تشابه بينهن في شيء من الأشياء .. ولكني حاولت أن استشف شخصياتهن بطريقة سريعة حتى أقرر طريقة التعامل معهن ... ياله من يوم شاق جدا ..
- لا تتعجلي الأمور يا هدير .. وخذي وقتك .. وضعي أمام عينك أن الأمر كله بيدك إن أردت الاستمرار أو العودة إلى مصر .. لا تتعجلي القرار .. وانتظري بعض الوقت حتى يكون حكمك صائباً ..

- لا يا عايدة .. أنا لم أفكر في العودة إلى مصر ولكن أردت أن أخبرك بما ينتابني من مشاعر متباينة تجاه العمل والزميلات .. لا تقلقي . فأنا قوية بما فيه الكفاية .. وسوف استمر إن شاء الله .. وأدرك تماما أنى سوف اعتاد هذا العمل وربما أتفوق فيه أيضا .. أو ربما اشترى هذا المتجر .. أو المول بأكمله ..

- أرتفعت ضحكاتها عاليا .. وأخذتا تتحدثان في بعض الأمور المعتادة .. حتى وصلتا إلى منزل أسرة عايدة .. سعدتا سريعا .. وجلستا بعض الوقت مع والد ووالدة عايدة تبادلوا معا بعض الأحاديث وأطمأن والد عايدة على سير العمل مع هدير .. ولم تشأ أن تعيد عليه حديثها مع صديقتها .. واكتفت بأن أجابت إجابات مقتضبة يفهم منها أن الأمور تسير على مايرام .. وبعد أقل من ساعتين كانت هدير تغط في نوم عميق .. لتستيقظ صباح اليوم التالي .. وتعيد كرة الأمس غير أنها اليوم بدت أكثر ارتياحا وأقل توترا .. وشمرت عن ذراعيها تساعد زميلتها لارا .. وتقوم ببعض عمليات البيع بمفردها .. وبدأت الأمور تسير سيرتها الطبيعية .. وسرعان ما حان وقت الغذاء .. وسريعا يمر اليوم الثاني وتقابل عايدة وتعودان سويا الى المنزل في المساء .. وهكذا مرت الأيام سريعة حتى كان يوم الأربعاء .. وتذكرت هدير أن لها في العمل مايزيد عن أربعة أيام .. ولم ترى في المول سوى المتجر الذي تعمل به .. حتى أنها غفلت عن أن تأخذ فكرة عن دروبه وطوابقه السنة .. ولم تتفقد متاجره ومعالمه الكثيرة ... وأدهشها ذلك تماما .. فقد تذكرت حياتها في القاهرة كلما ذهبت إلى أحد المولات الضخمة كانت تقطعه ذهابا وإيابا .. وتتفقد طوابقه جميعها وتشاهد العديد من متاجره وتشتري الكثير من الملابس والأغراض التي تحتاجها .. فماذا حدث لها حتى توجد في مول فيه عملها وحياتها القادمة ولا تتفقد أو تتعرف على معالمه ..

- انتظرت هدير فترة الغذاء وأخبرت عايدة برغبتها أن تأخذها اليوم بعد انتهاء العمل في زيارة سريعة لمعالم المول تتعرف فيها على مابه من محلات .. وتتفقد محتويات كل طابق من طوابقه .. وافقتها دعاء على طلبها .. خاصة ان هذا اليوم تعملان به وردية عمل واحدة .. وما أن انتهيا من عملهما حتى انطلقتا سويا تجوبان كل طوابق المول وأركانها ..

- لم اندهش كثيرا وأنا أتجول في طوابق هذا المول الكبير .. فهو شبيه بالمولات التي تفقدتها وكنت من روادها في القاهرة .. فكم ذهبت كثيرا إلى مول مدينة نصر .. ومول التجمع الخامس وغيرها من المولات التي انتشرت مؤخرا في العاصمة وأصبحت مزارا للكثيرين .. فهو ذات النموذج وإن وجد اختلاف فيكاد يكون ضئيلا .. فهذا ركن المطاعم .. وذاك طابق الألعاب والسينما وقسم الترفيه .. وعدد كبير من الكافيهات .. وباقي الطوابق تعج بالمتاجر ذات العلامات التجارية والماركات الشهيرة في جميع الأصناف بداية من الملابس والساعات والنظارات نهاية بالأجهزة الاليكترونية .. وبه عدد من المكتبات التي تعج بمختلف أنواع الكتب .. وفي الطابق السفلى من المول حيث يوجد سوق السلع والخضروات والفاكهة وكل ما يحتاجه المنزل من أدوات ومأكول ومشرب ... وهو في ذلك يماثل كل المولات التي زرتها في القاهرة .. استطعت أن أخذ

فكرة سريعة عن متاجر المول وأهم ما يميزه .. ومخارجه ومدخله .. وأطلعتني عايدة على بعض الأماكن المفضلة بالنسبة لها هي وصديقاتها للجلوس بها خاصة الكافيهات التي تقدم المشاريب الساخنة والباردة والشيشة أيضا ..

- وقبل أن نغادر المول سألتني عايدة عن انطباعي بعد أن تفقدنا جزءا كبيرا من المول .. وأجبتها بأن الشيء الذي لفت انتباهي .. وربما كان هو الاختلاف الأعمق بين هذا المول وغيره من مولات القاهرة هو اختلاف الزائرين .. فمول هذه الإمارة يموج بخليط من البشر من كل الأجناس ومن كل الأعمار .. والمواطنون من أبناء البلد كادوا أن يتوهوا من ندرتهم بين تلك الجحافل من البشر .. وربما جمع هذا المول أجناسا من أقصى وأدنى الأرض .. والجميع هنا يعرف طريقه جيدا ويدرك هدفه تماما .. بخلاف مولات القاهرة التي تكتظ بالشباب في مرحلة عمرية صغيرة نوعا ما .. والغالبية العظمى من روادها سكان القاهرة أو الأقاليم .. ونادرا ما تجدي أحدا من الجنسيات العربية أو الأجنبية .. وان كانت توجد أحيانا .. لكنها ليست القاعدة ..

- نعم ياهدير فهذا يرجع إلى أن تلك الإمارة محل جذب لكثير من العمالة من جميع الجنسيات .. بالإضافة لكونها بلد سياحي يرتاده الخليجيون .. وأبناء الكثير من الدول الغربية .. وهذا ما يضيف على التركيبة السكانية ذلك التباين الكبير ويجعل من مجتمعها مزيجا من كل جنسيات العالم ..

- نعم يا عايدة معك الحق .. وربما هذا هو ما جعلني اعشق هذا البلد .. وكنت أتوق دائما إلى زيارته .. وهو ما جعلني أتمسك بالعمل هنا .. حتى أغوص في جميع جنسيات العالم .. أخذ منهم .. وأذوب في ثقافات مختلفة تتيح لي الانطلاق إلى عالم أوسع وأرحب .. - انتهى الأسبوع الأول من بداية العمل .. واعتدت بعض الشيء التكيف مع ظروفه .. وتعودت أسلوب الحياة والنظام الدقيق الذي تفرضه علينا الحياة في هذا البلد .. وأدركت انه سيكون لي قدم راسخة هنا .. وأن حياتي سوف تستمر في هذا المكان .. ولتكن تلك حياتي الجديدة التي يجب أن أعد نفسي لها وأكيف أموري معها ..

- هاتفني خالي جمال وتحدثنا معا حديثا طويلا .. وتناقشنا سويا في عدد من الموضوعات .. وحاولت أن استفيد من تجاربه وخبرته في الحياة في بعض الأمور .. وكعادتنا معا .. دار بيننا حديث تخلله شد وجذب .. هذا الحديث الذي كنت أحبه منه .. وكنت دوما معه كما تقول والدتي "ناقر ونقير" نتفق أحيانا ونختلف في بعض الأحيان ولكن بطريقتنا التي يسودها المحبة والاحترام .. شعرت أنني فاجأته عندما أخبرته أنني سوف اطلب من والد عايدة أن يعثر لي على سكن بمفردي .. فبما أنني قررت الاستقرار في هذا البلد فلا بد لي من سكن يأويني وأمارس فيه حرיתי .. ولا أثقل على احد .. ويكفي أسبوعين قضيتهم مع أسرة عايدة .. وعلى الرغم من أن هذا هو الشيء الطبيعي غير أن خالي جمال ربما فوجيء عندما علم بهذا القرار .. فقد انتابه شيئا من الدهشة .. ولكن سرعان ما أفاق واستوعب الأمر .. وانقلبت دهشته إلى نصائح يُكيّلها لي .. ووصايا يوصيني بها .. عن أهم ما يجب مراعاته في السكن .. وما يجب تجنبه .. وأشياء من هذا القبيل .. انهينا مكالمتنا على أمل مكالمة أخرى في القريب العاجل تجمعنا سويا .. فقد

كنت أشعر مع حديث خالي بالدفيء الأسرى وأرتاح معه.. ويجعلني كمن يضع ظهره على مسند يشد من عضده .

بعد تناولنا الغذاء طلبت من والد عايدة أن يعثر لي على سكن مناسب يكون قريباً من عملي بالمول وقريباً من سكنهم .. وبعد اعتراض من أسرة عايدة وتمسكها بالاقامة معهم .. وإصرار مني على موقفي .. ما كان منهم سوى الرضوخ لطلبي .. ورأى والد عايدة أن يتجاذب معي الحديث حول تفاصيل السكن المطلوب .. وأخذنا بعدها نتصفح إحدى الصحف التي تنشر إعلانات سكن الإيجار في هذه الإمارة .. ولما لم نجد فيها السكن المناسب من حيث المكان والقيمة الإيجارية .. طلب مني والد عايدة أن انتظر يومين أو ثلاثة .. يمكنه خلالهم الرجوع إلى أحد أصدقائه ممن لهم خبرة في هذا المجال .. ربما يهده إلى السكن المناسب .. وافقته الرأي .. ومارسنا يومنا بطريقة عادية واستمتعنا بالتنزه في ليلة يوم الإجازة .. وتدور الأيام سريعة وينقضي الأسبوع الثالث من وجودي في هذا البلد .. وفي نهايته يطلب مني والد عايدة أن اصاحبه لمشاهدة الشقة التي وقع عليها اختياره مع صديقه لتكون مقراً للسكن بها .. ذهبنا سوياً ومعنا عايدة .. وكم لاقت الشقة إعجابنا جميعاً .. فهي لا تكاد تبعد عدة كيلو مترات عن سكن عايدة .. ومكان المول .. وتقع في إحدى البنايات الجميلة التي تطل على شارع متسع .. وكما علمت من والد عايدة أنه يسكنها عدد من العوائل وجميعهم يعملون في أعمال ذات قيمة .. وسريعاً سريعاً .. تم تجهيزها بالأثاث المناسب والتي ساعدتني كثيراً أسرة عايدة في شراؤه وترتيبه .. ولم يمضي أكثر من أسبوع حتى انتقلت إلى الشقة الخاصة بي وبدأت فيها حياتي الجديدة

- كان قد مضى على وجودي بالإمارة حوالي شهرين .. وبدأت أشعر بالاستقرار نوعاً ما .. فقد اعتدت على شقتي الصغيرة وأحببتها .. وتعودت على طبيعة العمل واستطعت أن أجد التعامل مع الزوار من المشترين الذين يقصدون متجرنا لشراء مستلزماتهم .. وكنت خلال تلك الفترة أحاول استيعاب الأمور حولي .. وقد أتاحت لي الفرصة في الأوقات التي تخلو من الازدحام تبادل الحديث مع الزميلات في العمل .. فتعرفت عليهن بطريقة أكثر قرباً .. واستطعت أن أقيم جسور صداقة بيني وبينهن خاصة لارا وساندرا .. وهما المقربتان لي من بين البنات اللاتي يعملن هنا .. فعلى الرغم من اختلاف الجنسيات والثقافات إلا أنني وجدت في قربهما الدفيء والمحبة .. فقد كانتا من النوع المحب للحياة و تثيران الضحكات بتعليقاتهما خاصة ساندرا التي تتحدث العربية بطريقة مضحكة .. وهو ما كان يزيد من مرحنا عندما نتحدث أو نحاول إلقاء "نكتة" فقد كنا نضحك عليها مرتين .. مرة على النكتة التي غالباً مانعتمد على ذاكرتنا لفهم معناها .. والمرة الأخرى على لغتها وطريقة إلقاءها ... توطدت بيننا العلاقة .. وتحدثنا في أمور شتى .. وتطرق الحديث أحياناً إلى حياتنا الخاصة .. ولكني وجدت فيهما ميلاً إلى التحرر الذي لم أعتده .. والخوض في خصوصيات أحجل من تفاصيلها .. وهو ما جعلني أتحفظ بعض الشيء في هذه النقطة .. وهو ما أدركوه .. وحاولوا شرح وجهة نظرهما في هذا الأمر غير أنني صدقتهما .. وأخبرتهما أن هذه الأمور ضد مبادئ

وثقافتني التي نشأت عليها .. فما كان منهما إلا أن قدرا موقفي وابتعدا تماما في وجودي عن الخوض في تلك التفاصيل خاصة فيما يتعلق بحياتهما العاطفية وعلاقاتهما المتعددة مع الشباب والرجال .. سعدت كثيرا وشعرت بالراحة بعد استجابتهما و عزوفهما عن هذا الحديث .. غير أنهما كانتا أحيانا وعلى فترات متباعدة يحاولنا التلميح لمشاكستي بهذا الحديث وعندما يجدون مني إعراضا .. يبتلعان حديثهما ويحولانه إلى مجرى آخر ...

- حاولت مرارا التواصل مع زميلتي المصرية صباح .. فقد توهمت أنها ربما تكون الأقرب لي هنا في هذا المكان .. فقد نشأنا في بلد واحد وجمعت بيننا عاداته وتقاليده وذكرياته وأحداثه .. وكانت مقابلتها الجافة لي في بداية عملي تقف دائما أمامي .. فعلى الرغم من طيبة قلبها .. وأخلاقها الرفيعة .. إلا أن بها الكثير من التشدد والانطوائية ما يجعلني أنفر منها ولا أستطيع إقامة أوامر صداقة بيننا .. فكم حاولت التحدث معها وفتح حوارات تقربنا سويا .. غير أن طبيعتها الصلدة وطريقتها الاستفزازية تجعلني أنفر منها ومن الحديث معها .. وبعد عدة محاولات يائسة أدركت أن صباح ليست من النوع السلس ولا يمكن أن تكون يوما من الأيام ضمن قائمة الصديقات .. فأثرت الابتعاد عنها والتعامل معها في نطاق الزمالة فقط .. وهو ما جعلني ارتمي في أحضان لارا وساندرا وتزداد صداقتنا قربا ومحبة ...

- صارت الحياة على وتيرة واحدة وجعلها الروتين اليومي حياة يسيرة معتادة .. وقد أدركت أن اعتياد الحياة يعينك عليها ويجعلها ميسرة سهلة ... مضت الأيام على هذا النهج المعتاد .. أيام يشغلها العمل .. وفي نهاية الأسبوع يوم الإجازة نقضيه سويا أنا وعايدة نخرج فيه للتنزه أو قضاء سهرة بريئة في إحدى الكافيهات المنتشرة هنا بكثرة .. وربما سافرنا مع أسرته إلى إمارة أخرى لقضاء بعض الحوائج أو للتنزه ومشاهدة معالم جديدة .. وخلال تلك الفترة كنت أتلقى مكالمات والدي ووالدتي للاطمئنان على أحوالي .. ونقطع الكثير من الوقت في تبادل الحديث ونقل صورة لهما عما يدور هنا حتى يطمئن قلبهما .. ولكن المكالمات التي كنت انتظرها بحق وأتوق إليها مكالمات خالي جمال .. فقد كنت اشعر انه الصديق الحقيقي الذي يمكنني الحديث معه والمناقشة في الكثير من المسائل .. وأجد في نصائحه معين على الحياة .. وشعاع نور في ظلمات المصاعب التي أتعرض لها ...

- اعتدت على نظام العمل .. وأدركت أوقات الذروة وأوقات الركود .. وكم كانت فترات السكون وخلو المتجر من الزائرين تشعرني بالكدر والملل .. فبعد أن يدور حديث هامس بيني وبين لارا أو ساندرا .. لانجد شيئا نفعله سوى الانتظار .. وهو ما يجعل إحساسنا بالوقت يطول وكأننا نعيش دهرا من الزمان لاتمر أيامه وساعاته ... وكم حاولت الهروب من هذا الشعور الذي يملكني حتى اهتديت لوسيلة راقية لي كثيرا واستطعت بها التغلب على تلك الفترات العصبية .. فالركن الذي أعمل به مواجه تماما لباب المتجر الرئيسي .. هذا بالإضافة للواجهة الزجاجية التي تتيح لنا جميعا رؤية ما يدور بالخارج وحركة الزائرين في الطرقات .. ووجدت في ذلك فرصة لشغل وقت الفراغ بمراقبة

وتتبع جموع الناس وتحركاتهم وقطعهم المسافات ذهابا وإيابا .. واستطعت تنمية تلك العادة حتى أصبحت مهربا للتغلب على تلك الأوقات وفسحة للعقل والخيال يسبح خارج المكان وينطلق لأفاق أخرى .. واطبت على تلك الهواية وحاولت استغلالها في أشياء كثيرة مع مرور الأيام وتمكنت عن طريقها من عقد مقارنات بين سلوك الأجناس المختلفة من مختلف أقطار الأرض .. فالمول يجمع عددا لا بأس به من الجنسيات المختلفة من مختلف قارات العالم وخاصة الآسيوية والأفريقية والأوربية .. ولكل منهم صفات وسلوكيات تختلف عن الأخرى ووجدت متعة كبيرة في تلك الهواية التي لازممتني وأصبحت جزءا من شخصيتي واستطعت بها التخلص من الإحساس بالملل الذي كان يملكني كثيرا أثناء العمل .

- أتاحت لي هذه الهواية التعرف على الكثير من الملاحظات التي أثارت فضولي وشدت انتباهي في سلوكيات العديد من الزائرين .. طريقة ملبسهم وأسلوب حياتهم .. وأحاديثهم .. وحدث الأزياء التي تتميز بها بلادهم .. وملابس الفقير منهم والثري ... غير أن هناك شخص لفت انتباهي وجعلني أتابعه بمزيد من الفضول .. ذلك الشاب الأسمر الذي اعتاد أن يأتي بصفة يومية ويقطع طرقات المول ذهابا وإيابا بغير هدى أو هدف ... كنت قد لمحته صدفة أثناء ممارسة هوايتي وهو يمرق أمام المتجر .. وعندما اعتدت رؤيته في نفس الموعد بعد فترة العشاء تقريبا .. أثار الريبة في نفسي .. وحاولت متابعته وتقصي خطواته .. فوجدته يأتي بصفة يومية في مواعيد المعتاد .. ويجيء ويذهب عدة مرات أمام المتجر .. وفي إحدى المرات أخذني الفضول وخرجت أرقبه .. فوجدته يصعد إلى الطابق الأعلى .. فعرفت انه ربما يمارس هوايته في التجوال بين طبقات المول وهو يسير هكذا بلاهدف يبتغيه أو صديقا يلاقيه .. فدائما أراه بمفرده .. سائرا بخطوات رتيبة .. أو متسكعا بين المحلات المنتشرة .. وبمتابعته على مر الأيام لمحته يدقق النظر في أجساد الفتيات المشقوقات القوام ممن يرتدين من الملابس ماقل ودل ويكشفن من أجسادهن أكثر مما يغطين .. رأيته يتتبعهم بنهم ونظرات جائعة .. وكأنما حُرِمَ هذا اللحم وما أن أدركه ووجده حتى أثار شهيته لالتهامه ... شذني هذا التصرف الغريب وجعلني أواظب على متابعته كلما جاء ... فلاحظت تسكعه الدائم خلف هذه النوعية من الفتيات والنساء الكاسيات العاريات .. وكأنما يشبع رغبة حرم منها ووجد ضالته في هذا المكان فأخذ ينهل منه كيفما شاء وتنتشي عيناه ووجدانه من هذا الخير الكثير ..

- تمضي الأيام سريعة .. وتتشابه تفاصيلها إلا من بعض الاختلافات الضئيلة التي لا تغير كثيرا من معالمها... وأعتاد تلك الحياة .. ويزداد يقيني أن هذا مكاني و أنها حياتي الجديدة .. وأعد العدة للاستقرار الكامل في هذه الإمارة التي أحببتها وشعرت بوجودي فيها .. وهامى الأشهر تمر سريعة لأؤكد أعرف عددها .. وأجد نفسي بحاجة لشراء سيارة صغيرة تيسر لي الأمور و تعينني على المشاوير والتنقل بين أروقة تلك المدينة الجميلة وتقيني متاعب المواصلات وسيارات الأجرة والتعامل مع السائقين من مختلف الجنسيات .. وبالفعل يبتاع لي والد صديقتي دعاء إحدى السيارات المستعملة من صديق

له كان يعرضها للبيع ووجدها مناسبة .. فرحت بها وانطلقت أجوب شوارع المدينة وأروقتها .. وتملكني شعور أني قد صرت جزءا من نسيج هذا البلد .. لما لا وقد أصبحت أحيا حياة أهلها وأعمل عملهم وأفكر فكرهم .

"الفصل الثالث"

تمضي الأيام بطيئة في أوقات .. ومهرولة في أوقات أخرى .. وتغوص هدير في دوامات الحياة بهذه الإمارة الصاخبة التي تعج بالمتناقضات والاختلافات التي أتى بها الوافدون

من كل صوب وحذب .. فكل من هؤلاء البشر والأجناس يحمل فكرا وقيما وأيدلوجية تختلف بل تكاد لا تطابق شيئا عند الآخر .. وتتفاوت الثقافات والمقامات والثروات .. ولكن الحياة تسير .. والرضا والسعادة قد اكتست بها الوجوه .. فالجميع قد ارتضى بمكانه .. وعرف حجمه .. وكيف نفسه على حياته التي يحيها .. والجميع هنا يعرف كل منهم طريقه وهدفه .. ويسعى إليهما في روتين يومي كتروس ماكينة عملاقة تدور بالجميع ولا تترك فرصة لأحد للتوقف أو التمرد.

بدأت هدير مع الأيام تنخرط في هذا المجتمع الصاخب .. حاولت أن تمسك بزمام الأمور في يديها وتقف على أرض صلبة حتى تتكشف تلك الحياة وتحسس طريقها وتعرف مكان قدميها وأين تضع خطواتها القادمة .. ومع الجهد الذي تبذله في سبيل ذلك إلا إنها كانت كالقروي الذي تعلم السباحة في إحدى الترع الصغيرة ثم ألقوا به في بحر أمواجه هادرة عالية ورياحه مزمجرة عاصفة .. فأخذ يصارع الأمواج وهى تقذفه يمينا ويسارا وتضرب وجهه وجسده ضربات موجعة ... و يابى إلا أن يسير في طريقه محاولا استعادة ما تعلمه من فنون السباحة ضاربا بقدميه ورجليه ليندفع للأمام .. ثم فجأة يجد نفسه في مكانه بعدما تلقفته موجة عاتية أطاحت به وسلمته إلى موجة أخرى لتسلمه إلى ثالثة وهكذا حتى كاد أن يفقد الوعي وتخور قواه من المقاومة .. فقرر أن يستسلم للأمر الواقع ويسير مع التيار ويترك نفسه للموج يدفعه حيثما شاء على أن يستعين بخبرة السباحة في ترعة بلدهم لتعيّنه على البقاء طافيا فوق سطح الماء حتى لا تأخذه موجة غادرة أو دوامة قاتلة إلى قاع البحر وينتهي أمره ... هكذا كانت هدير بعد أسابيع قليلة قضتها في تلك الإمارة وبدأت تعاني من صدمات المجتمع الجديد واختلاف عاداته وتقاليده وتباين ثقافات أهله والوافدين مما جعلها تعتاد الدهشة ونظرة التعجب التي سيطرت وطغت على نظراتها في تلك المدينة .. حتى أنها قد اتخذت قرارها بترك الأمور تسير سيرتها الطبيعية وتجلس في مدرجات المشاهدين تشاهد وتسمع ولا تنزل أرض الملعب حتى تأخذ خبرة اللعب وتعتاد الأرض الجديدة ... وهكذا حاولت هدير أن تمسك بالزمام حتى لا تنفلت الأمور من بين يديها .. ولكن ليس كل مايريد المرء يناله .. ولا كل ما نخطط له نصل إليه ... فالحياة لا بد أن تأخذك إلى ملعبها شئت أم أبيت .. وهكذا وجدت هدير نفسها محاطة بمصاعب ومشاكل العمل من جهة .. وتضارب بين عقلها ووجدانها .. وتخبط بين رفض وقبول كثير من الأمور التي تحدث أمامها وتجد نفسها منصهرة في بوتقتها .

أرادت هدير أن تخفف عبء الصدمات وتهرب من الصعوبات التي تواجهها في كثير من تعاملاتها ومشاهداتها وحياتها على هذه الأرض الجديدة .. فلاذت بصديقتها عابدة واتخذت منها حائط صد تلجأ إليها وتلتصق بها تلتمس الأمن والأمان وتستعيد ثققتها بنفسها حتى تلتقط الأنفاس وتعاود الدخول إلى الملعب مرات ومرات .. وهكذا صارت الحياة بهدير ... تغوص في معتركها حيناً .. وتهرب منها حيناً آخر .. وتتطلق بخيالها وتأملاتها هاربة من جفاف الواقع عليها تجد أرضا خصبة تمنحها بعض الزهور والنسمات وشذا البساتين .. وتعيد لروحها ووجدانها الصفاء والنقاء .

- أشد ما كانت تقاسيه هدير أثناء عملها الساعات الطوال في المول انشغال صديقاتها وتفانيهن الشديد في العمل حتى وإن خلا المتجر من الزبائن .. فالجميع مشغول بالبيع أو بترتيب البضائع وإعادة توزيعها وحصر ما تبقى وما تم بيعه ... وهى لم تعتد ذلك .. فحياتها لا بد أن يتخللها أحاديث وضحكات وغير ذلك مما يسري على النفس ويعيد توازن الإنسان ويشحنه بطاقة يستطيع معها استكمال مشواره .. وهو ما تفنقه تماما في هذا المكان ويكاد يصيب روحها بسحابة سوداء لا يخفف من وقعها سوى محاولاتها الهرب بتفعيل هوايتها القديمة بإطلاق خيالها يجوب العالم الخارجي وينطلق بها من سجن المول الضيق الذي يضيق بصدرها ويقيد روحها إلى رحابة عالم خيالها الواسع وذكرياتها القريبة والبعيدة .. بالإضافة الى هوايتها الجديدة التي ابتدعتها بإطلاق نظراتها لخارج المتجر حيث رواد المول تتابع خطواتهم وترقب تصرفاتهم وتجوب الطرقات بحثا عن الجديد .

- ذات يوم بينما أقف منهمكة في البيع مع إحدى زبائن المتجر توجهت بعيني فجأة إلى زميلتي "ساندرا" وكانت مفاجأة أن وجدت الشاب الأسمر الذي اعتدت رؤيته يسير ذهابا وإيابا بلاهدف أو مبتغى يبتغيه .. وجدته يتحدث معها ربما لشراء سلعة ما أو الاستفسار عن شيء يريده .. اتسعت عيني وأخذت أحرق النظر في وجهه وتملكني الفضول والرغبة في الحديث معه ومعرفة من يكون وما وراءه .. ولكن كيف السبيل إلى ذلك ... وقتت اتبعه وهو يحاور صديقتي "ساندرا" ويشاور بيده على أرفف البضاعة ربما يحاول اختيار شيء ما .. بعد بضع دقائق لمحتته بطرف عيني يترك ركن ساندرا ويتجول في باقي أركان المتجر ربما يحاول أن يجد ما يبحث عنه .. وفجأة رأيته أمامي .. توجه مباشرة بالسؤال عما يريده وإن كان موجود في هذا الركن أم لا ... لم أسمع شيء مما قاله وتاه مني السؤال .. فقط لهجته هي ما تبقى في أذني .. فقد أدركت من حديثه انه مصري .. بل من صعيد مصر بلهجتهم المميزة التي تشع رجولة وتفوح منها الشهامة وتخرق القلب وتبعث به الاطمئنان والدفء .. وجدنتي بلا تفكير أمد له يدي مصافحة وابتسم له ابتسامة واسعة وأنا أجيبه .. أنا مصرية .. من أى محافظة أنت ؟؟

- أهلا بك .. أنا من محافظة أسوان

- وأنت .. سألني مبتسما

-أنا من القاهرة .. من حي المعادي

- أهه .. انه الحي الراقي في القاهرة

-نعم من الأحياء الهادئة

- وأنت من أسوان بلد الحضارة والتاريخ وعمق مصر الفرعوني والثقافي

- ربنا يبارك فيك .. أسوان بلد جميل حقا

- نعم وأهله طيبون وما زالوا على مبادئهم وتقاليدهم القديمة .. لم تغيرهم الحضارة أو

تسلبهم شهامتهم الحداثة .

- نعم هم جزء من صعيد مصر .. تلك البلاد التي لم تصبغها الحضارة الحديثة بسلبياتها وطفرتها .. ولم تأخذ منهم صفاتهم الإنسانية وهى أجمل ما يميزهم.

- تعرفنا سريعا وفي دقائق معدودة سرى الدفاء بيننا وشعرت أنني قد عثرت على كنز في هذا البلد.. وعرفت من حديثه أن اسمه أسامة ويعمل بالقرب من المول ولذلك هو زائر دائم لهذا المكان ..

وددت إطالة الحديث معه لأتعرف عليه أكثر .. غير أن نظرات صديقاتي بدأت تلاحقني .. وخشيت أن تلحظني "أينا" فأقع في مشكلة أنا في غنى عنها ..

أنهيت حديثي مع أسامة في عجلة وأظهرت له مزيدا من الود إحياءا بسعادتي بمعرفته.. وافترقنا على وعد باللقاء ودوام الصداقة بيننا .

رمقتني صديقتي "ساندرا" بنظرة ذات مغزى .. وابتسامه تشي بمكر أنثوي لم أكن لأغفل عن ترجمته أو فهم معناه .. لذلك عاجلتها برد فوري وقاطع .

-لاتأخذك الأفكار بعيدا ... الموضوع لا يزيد عن كونه أبن بلدي وقد رأيت فيه الأهل والأصدقاء

- نعم نعم .. أنا لم أقل شيئا

-نعم لم تقولي بلسانك ولكن نظراتك وشت بما أردت قوله

-لا عليك صديقتي لما أنت متعصبة هكذا؟

-لا لست متعصبة أو شيء .. ولكن أردت أن لا تفهمي الأمر بطريقتك وتفسريه خطأ

- عزيزتي المصرية وما يضيرك حتى إن كانت هناك علاقة بينكما أما زلت ساذجة بعد المدة التي قضيتها هنا .

-ماذا تقصدين ساندرا؟ .. لم أفهم مغزى حديثك

- هدير .. الحياة هنا ابسط مما تتخيلين .. والعلاقات هنا شيء طبيعي ... فلا تتحلمي على نفسك وعيشي حياتك فلا أحد يلومك

- لا عزيزتي ساندرا .. نحن الشرقيين نختلف عنكم في تلك النقطة بالذات .. فالعلاقات عندنا محسوبة .. وخاصة العلاقات العاطفية وعلاقات الجنس الآخر

-وهل الجنس عيب أم حرام ؟

- ماذا تقولين .. "جنس" .. ومن تطرق إلى هذا الحديث ..أنا أتحدث عن الجنس الآخر أي المخالف .. أعنى علاقة الرجل بالمرأة والعكس

- أهه أسفه هدير .. كما تعلمين لغتي العربية ليست جيدة .. وفهمت كلمة الجنس الآخر أنك تتحدثين عن العلاقات الجنسية .. ولكن بما أننا تطرقنا إلى هذا فهل تمانعون في ذلك في بلدكم

- ضحكت ضحكة بلهاء .. ونظرت لها نظرة لها مغزى علما تفهم منها ما يصعب فهمه بالكلمات

- ابتسمت ابتسامه خبيثة .. وأومات برأسها .. وسمعتها تهمهم بصوت خافت .. وكيف تعيشون حياتكم؟؟

- تغاضيت عن ملاحظتها .. وكأني لم أسمعها .. وتركتها وذهبت بعيدا عنها ناهية هذا الحوار بين ثقافتين بدت الشقة والبعد بينهما مع أول تجربة .

- لم أدري هل أنا سعيدة بلقاء أسامة والحديث معه؟.. أم أن حديثي مع "ساندرا" قد ألقى بظلاله وخيم على نفسي غمامة كدرت سعادتي وعكرت صفو روحي ..
- حاولت نسيان الحديثين والعودة إلى نفسي .. ولكن وجدت سؤال "ساندرا" الخافت الذي ربما توهمت أنه لم يصل إلى سمعي يتردد صداه وتتعالى رناته حتى طغى على جميع الأصوات ولم يعد سواه في أذني "وكيف تعيشون حياتكم؟"
تمنيت في تلك اللحظة أن أدخن سيجارة وانفث دخانها ليتصاعد أمامي حتى يحوطني من كل الجوانب ويحجز الرؤى فلا أرى أمامي شيئاً.. فقط الدخان .. والدخان .. وفنجان قهوة ارتشفه ببطيء .. اشتم رائحته .. وانتشي بتلك اللحظات .. أغوص معها في عالم فوضوي.. كم تمنيته .. وحلمت به .
أفقت سريعاً من هذا الخيال الخصب الذي سبحت فيه لدقائق معدودة كادت تأخذني من عالم إلى عالم .. إحدى الزبائن ترمقني بنظرة اندهاش .. توقظني من غفوتي .. ابتسم لها ابتسامة بلهاء وأذهب لتلبية طلباتها .

لم أرد إعطاء الأمر أكبر من حجمه .. تركت الأمور تسير بشكل طبيعي ... وتمر الأيام رتيبة معتادة ... إلا من بعض الخلافات الفكرية على غرار مناقشتنا أنا وساندرا على بعض المواقف التي تباعد الثقافات المختلفة من اتفاقنا عليها .. أو من مشاكسات بعض الزبائن التي ربما تصيب الإنسان بالضجر الذي يصل أحياناً إلى الانفجار .. أو ربما توصله إلى حالة من الضحكات الهستيرية.. فالمواقف التي نقابلها كثيرة ومنها الطريف ومنها دون ذلك .. تعلمنا الصبر والاحتمال .. وأن " الزبون دائماً على حق " وتلك هي لغة التجارة .. والتي لم اعتدها تماماً حتى الآن رغم علمي بها .. لذلك كنت أقع في كثير من التفاصيل المملة التي تكاد تتحول لمأزق حقيقي لولا وجود صديقتي بجواري "ساندرا ولارا " اللتين تتدخلان في الوقت المناسب وتسيطران على الأمر.. ومع ذلك فقد كانت الأمور تغلت منا جميعاً في بعض الأحيان ولا نجد مخرجاً سوى تركها للأقدار تضع لها حداً... ولا يبرح ذاكرتي يوم أن جاءت سيدة عربية ومعها خادماتها وستة أطفال في أعمار مختلفة .. وبينما استمع إلى طلبها انطلق أطفالها يحيطون بالمكان ويعبثون بكل ما تقع أيديهم عليه ... حاولت مراراً وتكراراً صدهم بكلمات لطيفة وضحكات مصطنعة .. غير أنهم تمادوا في هرجهم وعبثهم بالمكان وبدأت أيديهم تطول الأرفف وتسقط ما عليها من بضاعة .. والمصيبة الأكبر أن والدتهم لم تنبس بكلمة وكأن المتجر حجرة ألعاب أو ملهى لأولادها ومرتع لهم يرتعون حينما شاءوا .. شيئاً فشيئاً بدأت اختنق وتتملكني العصبية .. حاولت بكلمات جدية زجرهم و السيطرة على أفعالهم .. وتاهت ابتسامتي وتملكتني الحيرة ماذا افعل والبرود يملك تلك السيدة وخادمتها .. وكأن شيء لا يحدث أمامهم ... طاف بخاطري سريعاً عبيط القرية الذي كنا نسمع عنه ونشاهده في الأفلام وهو يجري مسرعاً والأطفال يلاحقونه بالحجارة والسباب .. لا لشيء سوى أنهم يلعبون ويمرحون .. ولا يجدون من يمنعهم عنه حتى تصيب حجارتهم جسده وتسيل دماؤه .. تخيلت نفسي مكانه..

أدركت أن المسألة زادت عن حدها والأمر يكاد ينفلت من يدي بعد أن اعتلى بعض الأطفال الأرفف الزجاجية.. وأدركت أن مصيبة واقعة لامحالة .. نظرت للأمام استنجد بها عليها تتدخل وتكون لها الكلمة العليا وتلمم تلك الفوضى .. فما رأيت منها سوى الخذلان وكأنها في كوكب آخر وما يحدث لا يخصها ولا يعنيه في شيء .. فا اتخذت قراري سريعا وصرخت في الأطفال بحدة وزجرتهم بنظرة رادعة .. وهنا حدثت المفاجأة التي لم أكن أتوقعها ولم أحسب لها حساب .. تحولت الأم فجأة إلى نمرة متوحشة .. وكأنما أطلقت الرصاص على أولادها .. أخذت تزمجر وتصيح وأطلقت لصوتها العنان بكلمات فهمت القليل منها ولم أفهم الكثير.. واستطعت إدراك لغة التهديد الذي يحمله صراخها .. خاصة عندما ذكرت اسم شخص معين أكثر من مرة ... ثم بدأت تقذف البضاعة بقدميها ويديها .. واحمرت عيناها .. تملكني الرعب وأدركت أني وقعت فريسة سهلة .. ولن أستطيع المقاومة أو حتى الدفاع عن نفسي إن طورت هذه المرأة هجومها إلى ابعد من ذلك .. هربت من أمامها .. ونظرت إلى ساندرال وارا مستنجدة بهما .. ولكن رأيتهما مثلي وقد التصقت كل منهن بركنها .. ووقف الجميع يشاهد ويتفرج .. وتوقفت حركة البيع والشراء .. تكهرب الجو تماما .. وجاءت "لينا" تجري مسرعة مهرولة .. تحاول تدارك الموقف .. ولكن لاهية لمن تنادي .. فالمرأة قد انطلقت وأطلقت العنان لغضبها .. ولا تريد أن تتوقف أو تفرمل من هياجها .. الحيرة والخوف في عيون الجميع .. وفتت "لينا" لاتدري ماذا تفعل فقد أعبتها الحيل والمحايلات .. والمرأة مصممة أن تصل إلى هدفها .. وهدفها هو أنا .. تريدني بين يديها .. لا أدري لماذا؟؟ وماذا ستفعل بي؟ ... وكلما أدركت أن الأمور تسير إلى تحقيق غايتها ولا شيء يوقف جموحها ازددت رعبا على رعب .. انكمشت في مكاني لا أدري من أمري شيء حتى يبست وأدركت أن الكارثة واقعة لامحالة .. وفي ثواني معدودة وجدت من تأخذ بيدي وتتطلق بي مسرعة إلى خارج المتجر .. وتسرع تلقيني داخل سيارة أجرة وتلقن السائق عنوان شقتي وترجع عائدة مرة أخرى .. إنها صديقتي "ساندرا" التي أخذت على عاتقها هذا التصرف لتنتهي تلك المهزلة .. غير عابئة بما يمكن أن يجره عليها هذا الموقف المنفذ من نتائج...

كم كانت المفاجأة عندما علمت بعد ذلك أن تلك السيدة على صلة بأحد أصحاب النفوذ في تلك المنطقة وهو من تردد اسمه في صرخاتها وتهديداتها وجعل الجميع يقف صامتا والوجوم يعلو الوجوه .. يبدو أن الجميع هنا يعلم قدر هذا الرجل ومدى سطوته وسلطته .. كان يوم .. تبعه أيام صعبة .. تدخل أبو عابدة وساق الكثير من أصدقاءه ومعارفه من أصحاب النفوذ لينهي أثار تلك الواقعة ... ولا أكاد اصدق أنها انتهت وعادت الأمور لمجاريها بعد درس تعلمته ورسخ في عقلي ... ومعها أدركت جميل "ساندرا" بفعلتها التي طوقت به عنقي وزادت من قدرها في نفسي .

بعد مرور عدة أشهر كنت قد مررت بعدد من التجارب كثيرها مضحك والقليل منها مبكي .. وكثير ما اختليت بنفسي وتذكرت تلك المواقف وانتابنتي حالة من الضحك .. فبعض تلك المواقف على الرغم من قسوتها لا أجد فيها الآن سوى مزحة أو طرفة

ماكانت تستحق العناء وما قاسيته في حينها ... أدركت في النهاية أن تلك هي خبرة الحياة .. وما عانيته وأعانيه يضم إلى "شهادة الخبرة" الخاصة بحياة الغربية .. وكلما امتلأ الملف بهذه التجارب أصبحت ذو خبرة واسعة وتجارب كثيرة تمكيني من التكيف مع تلك الحياة والعيش ببسر وسط خضم البشر والثقافات المختلفة التي يموج بها هذا البلد . حاولت التعايش مع الواقع الجديد وتبسيط الأمور والتغاضي عن بعض الهفوات وتيسير الكثير من الأزمات ... أدركت أن روتين الحياة هو ما يجعلنا نعتدها ونتعايش معها وترتاح نفوسنا إليها .. لذلك حاولت تجنب الطفرات التي تغير نظام يومي حتى لا أفاجأ بما لا يحمد عقباه وأنا جاهلة به .. أثرت الابتعاد عن كل جديد إلا في أضيق الحدود .. وأخذت على عاتقي أن أسير بحياتي في خط مستقيم حتى اعتدها ثم بعد ذلك لي مآرب أخرى .. ولكن بخبرة وروية .

سريعة الأيام والأسابيع في مرورها .. أدركت أن شيئاً ما ينقصني .. وأن حياتي قد خلت منه فجأة .. ربما تاه عن فكري الأيام الماضية ولكنه الآن بدا يتضح أمامي ويورقني غيابه ... هو جزء من روتين حياتي الذي اعتدته هنا وليس من السهل التخلي عنه ... أنه أسامة .. أين هو منذ عدة أسابيع لم أراه؟ .. حاولت في الأيام التالية أن أتتبع خطاه وأرغب موعده وخط سيره في طرقات المول ولكن بلا جدوي ... أين هو .. أين هو؟ ... اعتدت على رؤيته يومياً حتى أصبح جزءاً من نهاية يومي .. بظهوره أدرك أن يوم العمل قارب على النهاية .. وينشطر معه اليوم نصفين ... نصفه الأول جاف قاسي لا يوجد به سوى العمل وخدمة العملاء وانتظار نهاية يوم طويل بساعاته البطيئة ... ونصفه الأخير حيث اقتربت ساعات العمل على الانقضاء .. وتبدل زبائن المول .. فهم زبائن آخر اليوم ممن جاءوا للنزهة والسهر وقضاء بعض الوقت في الكافيهات وغيرها من أماكن اللهو أسامة هو الفاصل الذي كنت انتظره يومياً وينشرح قلبي برؤيته حتى وإن كنا لم نتبادل سوى بعض الأحاديث القليلة .. ولكنها الألفة والتعود .

أزعجني غياب أسامة هذه الأيام الطوال .. ويبدو أن الإنسان يدرك أهمية الآخرين في حياته بعدما يغيبون عنه أو يبتعدون عن حياته .. وها أنا أشعر بمرارة فقد أسامة وينتابني شعور أنى لن أراه مرة أخرى وهو ما يضفي على سمائي سحابة سوداء تترك في الحلق غصة وفي النفس حزناً عميقاً .

يبدو أن غياب أسامة والقلق الذي انتابني عليه وما خلفه ذلك من انتظاري له ومراقبة طرقات المول كلما أذف موعده .. قد أثار ريبه صديقتي "ساندرا" أو ربما قرأت ما يجول في خاطري .. فقد فاجأتني ذات يوماً وأنا في هذه الحالة بقولها ..

-هدير .. هل تنتظرين أحد؟

-لا لا .. فقط انظر لوجوه الناس خارج المتجر

-أين صديقك منذ عدة أسابيع لم يره أحد؟

سؤال مباغت لم أتوقعه .. نظرت إليها .. وكأنها خلعت عني ملابسني .. وعرتني تماماً أمامها ... جاوبتها بهزة من رأسي تفهم منها عدم اكتراثي بالأمر .. وعندها نظرت لي نظرة ذات مغزى لتلقي بي عارية في بحر مياه باردة تكاد تقترب من درجة التجمد .

- اكتفيت بهز رأسي ولم أجد كلمات تجيب سؤالها.
-أوك هدير عزيزتي .. سوف نستكمل حديثنا في وقت لاحق
تركنتي ساندرًا مبخلقة في لاشيء .. ماذا حدث لي .. ولماذا لم أجبها .. ولما الهروب من أسئلتها ... أعلم جيدا أن الواثق من أمره لا يهمله شيء ويتحدث بكل ثقة ولا يخشى لومة لائم .. ولكنني جئنت حتى أن أواجه نظرات وأسئلة ساندرًا .. ماذا يعني ذلك .. هل أنا على خطأ ... هل أحببت أسامة؟ ... هل تعلق به قلبي دون أن أدري ... حتى وإن كان كذلك فماذا يضبرني .. ولماذا الخوف والهروب ... ربما هربت من الاعتراف لنفسني بهذا الحب ... ولكنني لم اشعر نحوه بشعور حب .. فقط تعود .. إذن لماذا كل هذه المعاناة ... نعم.. ولكن يجب أن اعترف أن غياب أسامة كان له أثر كبير في حياتي .. بل لا أكون متجاوزة إن قلت أنني اشعر بفقدان شيء عزيز على قلبي فقد اهتزت بغيابه حياتي وتضاربت مشاعري وضارقت نفسي ..رباه ما هذا اليوم العجيب والمشاعر الغريبةإن ساندرًا دائما ما تتدخل في الأوقات الصعبة وتضع أصبعها في الجرح الغير ملثم ... هلم فلينتهي هذا اليوم العجيب..

بينما أنا في هذه الحالة الغريبة من الضجر وعدم الاتزان..اعتدلت من استدارتي لتلبية طلب زبونة وإحضار ما تريده .. فوجئت بأسامة يقف قبالي مبتسما ويده ممدودة لمصافحتي .. لم أتمالك نفسي من الفرحة .. شددت على يده .. واقتربت منه حتى خشيت أن احتضنه ... نظرت له نظرة عتاب لا أدري هل فهمها أم لم يستطع إدراكها .. ولكن اعتقد أنه أدرك تماما سعادتي به ومدى اشتياقي له واغترابي بدونه من خلال بضع كلمات تبادلناها أظنه لم ولن يغفل معانيها ..وبتلقائية طلبت منه الانتظار بعد انتهاء دوام العمل نشرب معا القهوة ونتحدث في إحدى الكافيتريات القريبة من المول

ذهبت في الموعد المحدد ووجدته جالسا في انتظاري بأحد الأركان المتطرفة نوعا ما .. عاجلته بالسؤال وكأننا أصدقاء منذ زمن ولي عنده الحق في معرفة خط سيره ..حتى أنى رأيت الاندهاش في عينية .. وربما حاول تدارك تلك النظرة سريعا والإجابة على سؤالي المباغت ..

- أين كنت خلال هذه المدة الطويلة .. ولماذا لم تخبرني بوجهتك؟
-اعذريني عزيزتي ظرف طارئ اضطرني للسفر إلى مصر على وجه السرعة
- سافرت إلى مصر!! .. وأي ظرف يجعلك تذهب ولا تخبر أصدقاءك؟
- أطرق برأسه ونظر إلى فنجان القهوة والحزن يملئ عينيه ..صمت برهة ..ثم قال بصوت خافت..والذي كان مريضا وحالته خطيرة .. وقد اتصل شقيقي وأخبرني أنه في لحظاته الأخيرة وإن أردت مشاهدته وتوديعه فيجب العودة في اقرب وقت .. وهو ما جعلني أحزم أمتعتي وأسافر على وجه السرعة دون أن اخبر احدا ...
- نظرت له نظرة مواساة .. وماذا عن حال والدك الآن؟

- لقد توفاه الله .. واضطرت للبقاء في مصر حتى انتهينا من واجب العزاء وترتيب الأحوال بعد الوفاة واغرورقت عيناه بالدموع
-البقاء لله .. صدقني لم أكن اعلم شيئا عن هذا الأمر .. أعتذر عن العتاب على غيابك .. والبركة فيك وفي إخوتك .

أدركت أن الحديث بيننا قد انقلب حاله وغيم السواد على أجوائه .. حاولت الهروب من هذا الجو الحزين والاستئذان للعودة إلى المنزل وأخذ قسط من الراحة بعد تعب يوم شاق .. وبينما أهم بذلك .. فوجئت بأسامة يطلب مني الجلوس والحديث معه قليلا .. وكأنما أدرك ما يدور في نفسي فغير دفة الحديث بسرعة وأخذ يتحدث كثيرا عن الحياة والعمل والأيام والسنين وأنا استمع إلى حديثه بلا تعليق .. أدرك حيرتي .. فصمت برهة وعاجلني بقوله ..

-هدير اعتذر عن حديثي غير المنهج .. ولكن عزيزتي شعرت أنني بحاجة إليك وإلى وجودك بجواري .. فكما تعلمين ليس لي صديقات في هذه البلدة .. والأصدقاء أيضا من جنسيات مختلفة لن يدركوا تلك الأحاسيس والمشاعر .. وقد ارتحت للحديث معك واتخذتلك منذ أن تعارفنا صديقة .. وددت أن نتحدث ونتعارف ونصير أصدقاء - نعم نعم أسامة .. هذا هو شعوري تجاهك .. نحن حقا أصدقاء .. ولك أن تتأكد أنني أحمل لك كل المودة والاحترام .. وكم قلقت عليك وتملكتني الحيرة عندما انقطعت عن زيارة المول خلال الفترة الماضية .. ولكن الحمد لله أن اطمأنتت عليك .. لا تقلق .. نحن أصدقاء .. وسوف نتبادل الحديث مرارا وتكرارا .. وتجمعنا معا أوقات كثيرة .. سأتركك الآن على موعد بلقاء آخر قريب نكمل فيه حديثنا.
تركته وانصرفت .. شعرت بالمسئولية تجاه هذا الشاب .. وانه أصبح جزءا من نسيج حياتي في تلك البلدة ...

تساءلت بيني وبين نفسي .. هل هذا هو الحب؟ .. جاءتني الإجابة بأسرع مما توقعت .. حتى أنني عجبت لها .. لا ليس هذا هو الحب .. هو أي شيء آخر ولكنه ليس الحب !! عدت إلى العمل صباح اليوم التالي والحيوية تدب في أوصالي .. وحالة من البهجة تجتاحني على غير عادتي الأيام الماضية .. لم يكن سبب ذلك خافيا .. عودة أسامة وانتظام روتين حياتي هو ما أحدث هذا التغيير في هذا اليوم ... صار اليوم عادي بزبائنه وزواره .. ولم يطرأ جديد يعكر صفوه مثله مثل كثير من الأيام التي تمر بنا تحصد في نهايتها حصيلة عملنا ونحن تروس الماكينة التي تدور وتدور وتنتظر انتهاء اليوم ليهل صباح يوم جديد وتعاود عملها.

كاد اليوم أن ينتهي سريعا عندما ظهر أسامة من بعيد وأشار لي بيده ملوحاً .. رددت له التحية ومعها ابتسامة رضا وامتنان .. كانت ساندرا كعادتها كالصقر الذي يلمح بنظره الثاقب ما ظهر وما خفي ... أسرعت نحوي تغمز بعينيها وتحدثني بنظراتها ... وكأنما ضبطتني متلبسة بما حاولت إنكاره سابقا عن علاقتي مع أسامة ... ضحكت على ضحكتها و على غير العادة بادلتها النظرات والحديث الصامت ... وسرعان ما أخذت في مشاكستها وإغاضتها ..

- لماذا تتربصين بي دائما .. ماذا يغيظك في هذا الأمر ؟
- ضحكت بصوت مرتفع .. لاشيء أنت التي تدارين ما بينكما
- لا ياستي أنا لا أخبئ شيء .. يحبني وأحبه .. هل استرحتي
- واوو.. هكذا اعترفي
- هههههه .. اعترف بأي شيء يا عبيطة .. انه مجرد صديق يربط الود والتآلف بيننا
- فقط ود وتآلف؟؟
- نعم فقط .. ها .. هل أراحتك الحقيقة أم مازال عندك شك؟
- يا ستى براحتك .. حبيب .. صديق .. حاجة ما تخصصيش .. بس كنت أريدك أن تعيشي
الحياة
- هههههه .. هي الحياة لاتعاش إلا بطريقتك؟
- وهل الحياة حياة إلا بطريقتي ... عموما غدا تتعلمين وتقولين ساندرنا كان عندها حق
- لاتعلمين عمري ما ها قول ساندرنا عندها حق
- عموما الأيام بيننا ولما نشوف مين اللي ها يفوز في النهاية
- يا عزيزتي دي مسألة مبدأ .. وأنت ما عندكيش مبدأ .. قلتها ضاحكة
- ههههههه .. عيشي الحياة ... أليس هذا مبدأ !!
ياهدير الحياة نعيشها مرة واحدة .. وأنا قررت أعيشها كده زى ما أنا كده .
- عارفه ساندرنا .. على الرغم من الاختلافات الكثيرة اللي بينا ... لكن بحبك وماقدرش
أبعد عنك
هههههههههههههه .. وأنا كمان هدير .. يلا بقا شوفي شغلك لحسن " لينا" بدأت تتململ وتتابعنا
بنظراتها
- ضحكنا معا وانشغلت كل منا بعملها ...
تعجبت لحالي .. وتساءلت لماذا لم أغضب من حديث ساندرنا .. ولماذا لم أتأثر مثل المرة
السابقة ولم ينتابني الخجل أو التردد أو محاولة إنهاء الحديث .. بل أني وددت التحدث
معها كثيرا والخوض في تفاصيل علاقاتها والحديث عن أسامة وأخذ رأيها في تلك
العلاقة...
أدركت من حوارنا وتبدل الحال ورد الفعل أن السبب الحقيقي وراء ذلك وضع يدي
على الحقيقة والتيقن أن الذي يربطني بأسامة علاقة بعيدة كل البعد عن عاطفة
الحب..ربما صداقة أو تفاهم أو عشرة أو غير ذلك من أنواع العلاقات الكثيرة التي تربط
بين اثنين في الغربة .. وربما هذا الذي منحني القدرة والقوة في الحديث بلا خجل أو
مواربة .. الإنسان يحكمه إحساسه .. وبقدر ما يسيطر عليه هذا الإحساس بقدر ما
يستطيع مخاطبة الغير بغض النظر عن كونهم يدركون ما به أو لا يدركونه .. فالكاذب
يفضحه كذبه والصادق يدعمه صدقه.. وما انتابني في المرة السابقة من خجل وتردد
ربما راجع لعدم تيقني حينها بطبيعة علاقتي مع أسامة .. ولكن هذه المرة قد وضعت لها
المسمى المناسب وأيقنت طبيعتها فباتت المسائل عندي لا ألبس فيها و ليس بها ما يشوبها
أو يجعلني في موقف الدفاع .

دار بيني وبين أسامة عدة أحاديث بعد لقاءنا الأول .. وكانت أحاديث متقطعة بعضها في المتجر حال غياب الزبائن .. أو ربما تعمد المرور بينما أتأهب لإنهاء الدوام و الذهاب للمنزل فكنا نتبادل بعض الكلمات السريعة جمعتني به عدة لقاءات متفرقة في الكافية تناولنا خلالها القهوة وتحدثنا قليلا في أمور عامة وربما تطرقنا إلى القليل من المعلومات عن حياتنا الخاصة ... أدركت من حديثه مدى ثقافته الواسعة واطلاعه على الكثير من الكتب والمعارف بحكم عمله في مصر في إحدى دور الثقافة ودراسته الأدبية التي أتاحت له دراسة الآداب والفنون ... غاص كل منا في شخصية الآخر .. واستطعت أن استشف ما بشخصية أسامة من خجل وانطواء .. وربما جعله ذلك يبتعد قليلا عن صخب الحياة ولا يتبع ركابها إلا قليلا ...

تحدث أسامة عن علاقته بالجنس الآخر وأدركت أن نزعه الشرقية مازالت تلازمه وتبعده عن الأجواء المتحررة المنتشرة هنا في أماكن اللهو الكثيرة .. وربما تدينه وعاداته وتقاليده يمنعونه من الانغماس في الملذات التي تحيطه في كل مكان كما يفعل أترابه من الشباب ممن يأتون هنا للعمل ويرتمون في أحضان الغواني وصخب الكؤوس هربا من الوحدة القاتلة والإحساس بالغرابة ... أدركت سر الحرمان الذي يعيشه وسبب نظراته الجائعة للنساء .. فقد اختار دور المتفرج ولم يشأ أن ينزل الملعب .. ويبدو أن هذا الدور قد استهواه ووجد فيه ضالته وطريقة لإشباع رغباته المكبوتة.. ووقع اختياره على المول القريب من منزله فاتخذه مرتعا له يمارس فيه هوايته ونزواته .. يسير متسكعا في أدواره .. يدور بعينيه محمقا على يجد فريسته من الكاسيات العاريات يتعقبها غارسا نظراته الثاقبة في لحمها .. منتشيا بما تجود به في حركاتها من اهتزازات وأمواج تسكره وتعلو به إلى السحاب .. وهكذا يظل منتقلا من فتاة إلى أخرى حتى تخور قواه ويأخذه التعب .. فيغادر المول ليأتيه في اليوم التالي ليمارس هوايته ويشبع رغبته ..

توطدت الصداقة بيننا .. وتقاربنا كثيرا وشجعتني على ذلك ما عرفته عنه من التمسك بالمبادئ والأخلاق .. والوقار الذي يصبغ شخصيته ويبتعد به عن التهور الذي يملك الكثير من الشباب في مثل عمره تغاضيت عن عادته السيئة وملاحقته النساء في المول .. لكل إنسان أخطاء وعيوب .. وهذا العيب لن يؤثر على صداقتنا ويمكن التغاضي عنه ... فر بما وجد فيه مهربا وعاصما من أخطاء أكبر وزلات أعمق .

استمر بنا الحال ودارت معه الأيام وصارت الحياة رتيبة واستمر أسامة يقطع اليوم نصفين ... ولم أعد أراه ينظر للنساء ويتابعهن أمام متجرنا .. ربما تعمد ذلك حتى يحافظ على صورته أمامي .. وربما اخرج طابق المتجر من خارطته .. وجعل هوايته محصورة في باقي طوابق المول .

أيقنت أن أسامة شيئا هاماً بالنسبة لي .. نتحدث سويا .. انتظر رؤيته .. نتبادل الحديث ... وأيقنت أيضا انه ليس الحبيب .

"الفصل الرابع"

اجتاح هدير شعور غريب لم تجد له تفسير .. فهو مزيج من الإحساس بالغربة .. وحالة فقدان للتوازن .. ورغبة في الخروج عن المألوف .. وكسر روتين الحياة التي اعتادت عليه ... فانقضت أكثر من تسعة أشهر في الغربة كفيلة أن تغير في الإنسان الكثير مما اعتاده .. بل وتضيف إلى شخصيته وتأخذ منه كل بحسب ثقافته وإرادته .. غير أن هذه النقلة الكبيرة في حياة هدير والتي لم تكن على استعداد كامل لها .. وطبيعة الحياة المنفتحة التي تحياها و تحيط بها من كل مكان خاصة بعد فترة انغلاق طويلة وحصار من الأهل والمجتمع .. واندفاعها بكل قوة لمحاولة كسر هذا القيد والتحرر من آثاره .. كل هذا كان له أكبر الأثر على هدير ونظرتها للحياة .. حتى أنها في خضم ذلك بدأت تتحلل رويدا رويدا من تدينها وتعلل لنفسها بعض الهفوات التي ماكانت تفكر فيها في حياتها السابقة في القاهرة .. ولكن المجتمع المفتوح وحياة التحرر التي تراها وتعيشها كل يوم استطاع أن يتغلغل قليلا إلى داخلها ويغير بعض السلوكيات ويدحض بعض المبادئ التي عاشت عليها كثيرا ... وشيئا فشيئا حاولت إقناع نفسها أن ما تفعله استجابة

للواقع وان الحياة ليست على نمط واحد ... وبذلك أجازت لنفسها رخصة للتححرر من بعض القيود التي كانت تقيد نفسها بها من أخلاقيات وعادات وتقاليد .. ولأن الإنسان خلق يحاكي الطبيعة فقد رأت أنها إذا قورنت بالمجتمع الذي يحيط بها فهي تعد في أقصى مراحل التزمت مهما حاولت أن تنفك وتنتقل بعيدا عن القيود التي فرضتها على نفسها نتيجة عوامل كثيرة وحياة طويلة عاشتها بهذه الأصفاد التي كبلت روحها وأدمت نفسها .

- جلست هدير في أحد أيام إجازاتها .. وانتابها شيء من القلق فأخذت تقطع حجرتها ذهاباً وإياباً تسرع الخطى بعض الشيء تم تعود إلى خطواتها البطيئة .. ظلت على حالها هذا ردحاً من الوقت لم تدري طال أم قصر .. ولكنها أحست أنها طائراً في قفص يريد أن ينطلق ويبتعد عن محبسه ويحلق بأجنحته ويطول السحاب .. فلماذا خُلقَت الأجنحة إن لم نظير بها ونرتفع؟ .. ولماذا نضع القيود لأنفسنا وندعي أننا ولدنا بها؟ ... ولماذا لانتحلل من هذه الأغلال التي تُطبق على أنفاسنا ولا نستطيع منها الفكك؟ .. - تساءلت هدير بينها وبين نفسها ..

- أين أنتِ من الحياة؟ .. إن الحياة تسير .. والجميع يأخذ حقه .. وها أنا أرى بعيني ما يحدث أمامي .. والقصاص والروايات التي استمع إليها .. أشعر أني أعيش مهمشة خارج أسوار الملعب .. والجميع يمارس ألعابه هل ارتضيت لنفسي هذه الحياة الفاحلة .. ولماذا الصبر على جفاف الأيام ... إن بداخلي طاقة وثورة ولا بد أن انطلق واستجيب لتلك الثورة .. لن أعيش حياتي ناسكة متعبدة ... لماذا الحرمان والظماً والماء يجري أمامي من كل حذب وصوب .. ولماذا هذا العذاب الذي أصنعه لنفسي وأعيشه ... لقد تركت عمرا ورائي وتركت حياة وتركت ماض .. فلماذا احتفظ بتلك القيود ولماذا لا أكسر الأغلال .. أين أنا ... أين هدير .. أين أنوثتي ... أين حياتي؟ ... نعم جئت إلى هنا هاربة من الأيام وهاربة من المجتمع وهاربة من نفسي .. ولكني هربت وأخذت كل ذلك بداخلي .. وأخذت قيودي معي .. أتساءل بيني وبين نفسي .. ألم تُغيرك تلك الفترة الماضية .. ألم تغرس في نفسك جديد .. ألم تمحي شيئاً قديماً؟ ... بلا .. فأنا لست هدير التي ركبت الطائرة منذ أكثر من تسعة أشهر وحطت في مطار هذه البلدة الجميلة .. تلك البلدة التي عشقتها منذ أن حطت قدمي أولى خطواتي بها .. أحببت فيها الحرية .. وأحببت النظام .. وأحببت مجتمعها .. هذا المجتمع الخليط .. الذي يجمع كل جنسيات العالم في هذه البقعة الصغيرة .. وعلى أرضها الكل يسعى .. والكل يعمل .. والكل يعيش .. ويعيش الحياة كما يجب أن تعاش .. أين أنا من كل هذا؟ .. أعمل وأكد واتعب .. حتى إذا انتهيت من عملي عدت إلى شفتي وحيدة .. أتكور في ركن على السرير واخذ إلى نوم عميق حتى صباح اليوم التالي .. وهكذا دواليك .. ربما يقطع هذه العادة سهرة أسهرها مع صديقتي عايدة .. أو ليلة نقضها في أحد الملاهي الليلية بأحد الفنادق الشهيرة نستمتع إلى بعض الأغاني مع بعض الصديقات في العمل .. يحتسين بعض علب البيرة .. وأظل بينهم أرتشف عصير البرتقال .. وأتابع بنظري حالات الانفلات واختلاط بنات الليل بزبائن البار والاتفاقيات والتربيطات بين الشباب والفتيات التي

سرعان ماتنتهي بموعد أو اتفاق سريع ليختفي الاثنان في لحظات لإكمال سهرتهما في مكان آخر أو إحدى غرف الفندق .. فهي تجارة متعارف عليها يفعلها الجميع في صمت ويعلمها الجميع و تسير سيرتها الطبيعية وكأن هذا هو المعتاد وتلك طبيعة الأشياء ... كان يأخذني العجب والاندھاش في بداية معرفتي بهذه الأماكن .. غير أني اعتدتها واعتدت على ما يحدث بها حتى أصبح شيئاً مألوفاً لا يسبب لي إزعاج بل وتخلصت من حالة الدهشة والعجب التي كانت تتنابني ...

ولكن أين أنا من هذا؟ .. أأست بأنتي!! .. أين مشاعري .. أين حياتي .. وقد منعت عن نفسي الرجال منذ أكثر من سبع سنين .. لم أألمس أحدا طيلة هذه المدة منذ أن طُلت وتركت عالم الرجال و قتلت الأنثى بداخلي .. ولكن أراها تطل برأسها وتنفض عن نفسها تراب تلك الفترة .. وتطالب بحقها في الحياة .. أشعر بها وتزعجني ثورتها ونداءها المتكرر وكأنها تعاقبني وتحثني على الاستجابة لها ... لما لا والحياة هنا كلها توقظ هذا الإحساس .. وقد تحررت من القيود وأقيت بها بعيدا .. وتركت معتقدات ومبادئ رواسب سنين مضت .. حاولت الاستماع لها .. اسمع شكواها .. أصادقها .. أحاول التفاوض معها .. عليها تُقدر الموقف .. أو تلتمس الأعذار ... ولكن دون جدوى .. فقد ثارت ثورة أطاحت بكل ماتبقى لي من منطق .. وألقت بجميع الحجج جانبا وطغت في ثورتها حتى أحاطتني وتملكتني وأصبحت لها أسيرة .. أحاول الفكاك فلا أستطيع .. فرفعت راية استسلام وواعدتها بالاستجابة لمطالبها وتلبية رغباتها .. لما لا .. وما الحياة إلا تجارب .. وهل الحياة مأكّل ومشرب وعمل فقط .. لا .. ولا .. فلنعش الحياة بطبيعتها ... ونحيا الحياة كما ينبغي ...

هدأت الأنثى داخلي بعد أن أطمأنت أن الأمور تسير على مايرام .. وان رغباتها سوف تلبى .. وتركت لي طريقة التنفيذ .. والتفكير في الوسيلة التي تحفظ لنا ماء الوجه .. وفي نفس الوقت تلبى رغباتنا ...

- جلست الساعات المتبقية من نهار هذا اليوم أفكر في السبيل إلى إرضاء تلك النزوة التي بدأت تجتاحني .. وتسيطر على عقلي وجسدي .. بل أحسست ببدء الجسد واهتزازه وكأنما كان ينتظر في سكون وسكينة طيلة هذه الأعوام حتى شعر أن الوقت قد حان فنفجرت برأكيته وسالت حممه تحرق ماعداها وتنتظر في لهفة وشوق

- أخذت أفكر جديا في طريقة اشباع تلك الرغبة المتوحشة وإرضاء انوثتي الثائرة بعد أن عقدت العزم على الاستجابة لتلك الثورة ورفعت راية الاستسلام وألقيت بالقيود جانبا وضربت عرض الحائط بالمبادئ والاخلاق التي عاشت داخلي أعواما طويلة .. جال فكري قريبا وبعيدا عني أهتدي لطريقة مناسبة لنيل ما ابغيه بعيدا عن السقوط والانحلال .. وتساءلت مع نفسي ..

- كيف الوصول إلى ما أبغيه؟ .. فالطرق أمامي كلها ممهدة .. وأيسر الطرق الملاهي الليلة التي أسهر بها مع بعض الصديقات .. ما أيسرها وأسرعها .. ولكني لا أبغي هذه الطريقة ولا أتمناها ومن المستحيل أن تكون هي الوسيلة .. فلدى مبادئ وأخلاق .. ربما اهتزت بعض الشيء غير أنني مازلت أحمل القيم التي تربيت عليها ولن أكون ساقطة في

يوم من الأيام حتى وان زالت كل القيود عن كاهلي .. فليس هذا الطريق طريقي .. ولا التفكير فيه وارد .. حتى عندما فكرت في إرضاء أنوثتي .. يكفيني أن يكون لقاء غير كامل .. فلا أريد بيع نفسي أو خسارة ذاتي .. فقط الحصول على القدر اليسير من المتعة التي تسد الحاجة .. كالسكين الذي يجرح ولا يقطع .. ولكن كيف السبيل إلى هذا .. والرجال في هذه البلدة اعتادوا اقتراس الوليمة بأكملها ولا يتركون منها حتى الفتات .. لما لا والولائم تقدم لهم جاهزة بل هي من تسعى إليهم وتطلب رضاهم وتلقي بنفسها على موائدهم بعد أن تكون قد تزودت بالمشهيات وطابت ونضجت حتى أصبح يسيل لها اللعاب ... لا لا ليس هذا طريقي ولن يكون ... ليست هذه المتعة التي انشدها ولا هذا ما يرضي انوثتي ويخمد ثورة البركان التي باتت تطيح بأركانى وكيانى

لا بد أن يكون هناك طريقا آخر .. فالطرق مع كثرتها وسهولتها وانفتاحها في كل الاتجاهات .. غير انه عندما أردت اختيار الطريق وقفت حائرة .. ولم أجد ما ابغيه وأسعى إليه ...

حاولت التمهّل في الاختيار وتركت التفكير في الشخص المناسب إلى أن يحين وقته .. فربما أوقعت الصدفة في طريقي هذا الشخص الذي أبحث عنه ولا أكاد أجده مع كثرة الرجال حولي .

ذهبت إلى العمل في المول في اليوم التالي وأخذت أتفحص الوجوه وأرقب الرجال من كل الجنسيات الذين جاءوا للتبضع وشراء احتياجاتهم .. ومنهم من جاء للتنزّه أو غير ذلك .. وللحق فقد كان الجميع منشغل في حاله غير أبه لأحد فكل منهم منهمك فيما جاء من أجله ... فعندما تصبح الحياة منفتحة والعلاقات صريحة فالجميع يعطى كل شيء حقه .. فمن يأتي المول يأتي لغرض يخص المول .. فلا شيء يستدعي الموارء والتلصص .. فالجميع يفعل ما يحلو له وقتما يشاء ولا يمنعه مانع أو يوقفه أحد .. لذلك كان الصدق هو ما يميز هؤلاء البشر وهذا اختلاف كبير بيننا وبينهم .. فقد اعتدنا في مصر أن نظهر غير مانبطن .. وربما كانت الرغبة تملؤنا وتتهش أجسادنا .. ونحاول إخفاءها والظهور بمظهر الوقار والاحترام والعفة .. ونضع ستارا ضخما وساترا منيعا يخفي مشاعرنا وأحاسيسنا .. ونعيش حياتنا كلها بقناع يظهر غير مانبطن .. ليس قناعا واحدا فحياتنا كلها أقنعة .. فقد اعتدنا في مصر أن نبدل الأقنعة ونرتدي لكل شيء قناعه وكل موقف نضع له ما يناسبه .. ونعيش حياة زائفة يغلب عليها التمثيل .. التمثيل على أنفسنا وعلى غيرنا حتى أجدنا هذا الفن وأصبحنا فيه خبراء .. وربما لهذا كانت مصر متفوقة على العرب جميعا في فن التمثيل .. فنحن نعيشه في حياتنا ونتقمصه في جميع أفعالنا ولنا حاجة للتدريب على فنونه ورسم شخصياته ... إلى هذا الحد أرى عالمي الذي عشته وحياتي المزيفة التي كنت أحيها تتضح أمامي .. إلى هذا الحد كنت مغيبة طيلة سنين عمري التي عشتها .. وكدت انتحر وأموت وافقد الحياة من أجل خرافات .. وأحاديث وقيود مجتمع لا يدرك من الحياة إلا قشورها ... لماذا لانكون مثل هؤلاء البشر أليسوا مثلنا لهم حياتهم وتقاليدهم وعاداتهم وأحبائهم .. لماذا يحيون حياتهم بهذا اليسر والسهولة .. وهذا الاكتفاء الجسدي والنفسي الذي يعيشونه ... وتلك الحالة من التوازن

التي يحيون بها... أنهم متصالحون مع أنفسهم يفعلون ما يروق لهم وقتما يشاءون وأينما تلح عليهم رغباتهم في أي شيء .. في مآكلهم ولهوهم وعلاقاتهم .. إن هذه هي الحياة السليمة التي يجب أن يحييها الإنسان .. فالإنسان لم يخلق ليعذب نفسه.. تارة باسم المبادئ .. وتارة باسم العادات والتقاليد .. والواجب وغير ذلك .. ولكن يا هدير .. ماذا عن الدين وتعاليمه ونواهيه؟؟ .. لا لا لأريد أن أناقش هذا الأمر الآن حتى مع نفسي .. أريد أن أعيش مثلما يعيش هؤلاء القوم .. أحيا حياتهم .. واخلع الأفتعة التي تراكمت بداخلي وكادت أن تبلى مع كثرة الاستعمال .. سألقي هذه الأفتعة بعيدا وأحيا حياة التوازن التي أبعيها والتي كدت أن أفقد حياتي لنيلها وطلبها .. وأتحرر من القيود التي أدمت معصمي والأغلال التي قيدت روحي .. أن لي أن انطلق وأحيا حياة الملايين الذين يعيشون هنا .. بل يعيشون في أي مكان يحترم الإنسان والإنسانية .. ويترك له الحرية ينهل منها كيفما شاء وأينما أراد ... هكذا خلق الإنسان وهكذا يجب أن يستمر .

ولكن لماذا أحاول تبرير ما أنا مقدمة عليه؟ ... هل مازلت أحمل القيود بداخلي؟ ... أم أريد تبرير فعل كنت أراه جرما يستحق القتل .. أم أنني مازلت في مرحلة تردد لم اتخذ فيها القرار بعد .. لا لا .. لقد اتخذت القرار ولم يتبقى سوى التنفيذ .. وهو ما اسعي إليه الآن ... فلأعود إلى ذاتي وقراري .. واختار من الرجال من يصلح لارتكاب هذه الخطيئة معه وممارسة تلك التجربة التي أريد أن انطلق منها إلى عالم التحرر والإشباع ... فأنا على الرغم مما طرأ على من تغير غير أني لازلت احتفظ بكثير من المقومات والأساسيات التي شكلت شخصيتي ... فلا بد من المحافظة على احتراماتي لذاتي .. وخوض تلك التجربة بلا ابتذال أو إباحية .. فالشرقية مازالت في دمي ... وان كنت تحللت من قيودها غير أن ذاتي تأتي الانحلال والانخراط في طريق ليس طريقي ... فقط أعيش حريتي وأرضي رغباتي وأشبع حواسي وجسدي .. أريد أن اخذ كفايتي وحقي في كل شيء .. أجوع .. فأكل .. اتعب .. فأنام .. أظمأ فأشرب .. احتاج .. ألبى .. إنها رغبة جسدية مثلها مثل كل الرغبات لا بد لها من المعالجة والإشباع حتى تتمكن من مواصلة مشوار حياتنا والعيش بطريقة متوازنة متصالحة ...

- وماذا بعد .. مضت ثلاثة أيام منذ اتخذت القرار ولم اهتدي إلى أحد ولم أجد الرجل المناسب .. وليس من المعقول أن أصارح إحدى صديقاتي كي ترشدني إلى رجل أحاول أن أقيم معه علاقة .. فمهما كانت درجة تحررنا إلا إنها لاتصل بنا إلى البوح بمكنون أنفسنا خاصة في هذا الأمر ... وماذا عن تلك الرغبة التي باتت تنهش جسدي منذ اتخذت القرار بإشباعها .. وكأنما أطلقتها من مكنها وأرخت لها الحبل .. فباتت تطل برأسها وتتوهج مستعرة تطلب حقا من حقوقها بعدما أمنت لها الطريق وواعدها الاستجابة لطلبها ... فلتهدئي بعض الشيء .. فالأمر ليس بيدي ... ولم أقصر في حقاك .. ولكن ماذا عساي أن أفعل ... وأنا لا املك لك صنيعا ... لو أن الأمر يشتري بالمال لأحضرت لك ماتريدين ... ولكنه شيئا آخر مختلف ... فدعيني أحاول واهدئي بعض الشيء .. كنت كأمينة سنين طوال .. كيف استفرك قرار اتخذته وجعلك تتورين وتتأججين وتشعلي النار في جسدي ... لم أكن اعلم أنه بهذا القرار أطلقت سراحك

واشعلت نيرانك .. وبهذا المفتاح فتحت لك الباب لتنطلقى محقة بكل ما أوتيت من عزم وقوة ... نعم معك الحق لقد أصبحنا معا وأنا وأنتِ على مشارف الهلاك .. ولم نعد نطبق صبرا ... وقد اهتزت خطواتي .. وشئت عقلي ... وسيطرت الفكرة على كل جوارحي .. ولم يعد يشغل بالي غيرها .. وكيفية تنفيذها ... فصبرا صبرا ولا تتعجلي الأمر .. حتى نرى ماذا سوف نفعل ...

- أين كنت تائها عن فكري تلك الأيام الماضية ؟..سؤال سألته لنفسي و فتحت فاهي باندهاش وتعجب عندما رأيت أسامة يسير عن بعد وهو يتسكع في خطواته مثلما اعتدته ... كيف لم أفكر فيه وكيف غاب عن ذهني ... لقد مر بخيالي الكثير من الرجال من أقصى اليمين وأقصى اليسار.. وأنت يامن أراك وأحدثك وتربطنا صداقة تتيح لنا الاقتراب والتحدث وتبادل الأفكار تكون بعيدا هكذا عن العقل ... هذا هو مبتغاي وهدفي الذي كنت أبغيه وابحث عنه ولا أجده .. فهاهو يظهر أمامي فجأة وكأنه يقول ها أنا ذا .. فلتهدئي يانفس فالدواء قد جاء .. وعن قريب يطيب الداء ...سعدت كثيرا بهذا الاختيار الذي ألقى بنفسه أمامي .. ولكن كيف لي مفاتحته في موضوع كهذا .. أنا اعلم ميله وانجذابه للنساء .. ولكن اعلم أيضا تدينه وشرقيته التي تمنعه من الإقدام على هذا الشيء ... فهو يعيش بنفس القلب الشرقي الذي كنت أعيشه ... وأراه متمسكا كل يوم ينظر إلى النساء بعين شرهة ورغبة قاتلة ... غير انه يكتفي بتلك النظرات التي لاتغني عن جوع .. ولكنه يرتضى بها ولم اسمع منه محاولته تعديها وتجاوزها إلى علاقة مع أي منهن أو حتى مع فتاة من فتيات الليل المنتشرات في أماكن كثيرة أظنه يعلمها جيدا .. فجميع من يعمل هنا يعلم تلك الأماكن واغلبهم يرتادها إن لم يكن لهذا الغرض فلغرض اللهو والرقص والترفيه عن النفس بعد أيام عمل وجهد ووحدة فكرت كثيرا في السبيل إلى تنفيذ ما أريد .. و لم أحاول التسرع حتى لا أفسد الأمور وتضيع منى تلك الفرصة التي لن تعوض ... وبينما أنا على هذا الحال فوجئت به على باب المتجر الذي اعمل به .. ابتمس ابتسامة خفيفة وألقى التحية ..

أشرت له بالدخول .. فتقدم نحوي مترددا ...فمازال الخجل يملؤه والشعور بالغرابة يملكه - أين كنت الأيام الماضية فأنا لم أراك منذ عدة أيام .. هل عثرت على مول جديد تمارس فيه هوايتك .. أم أنك غيرت أسلوب حياتك واخترت أماكن أخرى لقضاء المساء بها ؟... - أدرك انك تتهكمين .. ولكن حياتي كالمعتاد .. لم أغير بها شيئا .. والأيام الماضية جئت منهم يومين وكنت أمامك ورأيتك شاردة الذهن تماما لدرجة انك لم تلحظيني .. ولم أرد فرض نفسي عليك فتركك لحالك ... ولكنى أراك اليوم في غير عادتك ..تضحكين وتتهكمين على العبد الفقير ..خذي راحتك يا هدير .. ولكن لن انسى لك تهكمك هذا .. قالها مبتسما .. وهو يتأهب للخروج من المتجر ... لن أعطلك عن عمالك ...فالمتجر يكتظ بالزبائن .. إن وجدت فرصة ووجدتك بمفردك سوف أمر عليك لتتبادل الحديث سويا .. - وجدتها فرصة لايجب أن تضيع .. فقد برقت في ذهني فكرة سريعة .. أردت تنفيذها قبل أن ينتابني شيء من التردد أو ميل إلى التراجع والتحفظ ... عاجلته سريعا بالنداء .. اسمع يا أسامة .. إننا لانستطيع الحديث هنا سوى دقائق قليلة .. وهذا الازدحام والزبائن

الكثيرة لانتيج لنا إكمال عبارة واحدة .. إن اليوم الثلاثاء والإجازة يوم الخميس .. ما رأيك أن نقضيه سويا في سهرة في "كافيه" أو مكان آخر نشرب الشيشة ونتناول عشاءنا ونتحدث بحرية .. فأنا أريد أن أتعرف عليك أكثر .. فأنت نعم الصديق .. ولا بد أن تزداد علاقتنا قريبا ...

- انفرجت أسارير أسامة وهو يستمع إلى حديث هدير .. وأوما برأسه موافقا .. وتحدث ببعض الكلمات التي تعبر عن سعادته بهذا الاقتراح والتي لم تفهم منها هدير شيئا لتلغثمه وسرعته في سردهم .. ولكنها أدركت كم سعادته بهذا العرض الذي أبدته له ... وقبل أن ينطلق مبتعدا عن المتجر .. استوقفته .. وضربت له موعدا تنتظره فيه .. وبصوت خافت وهي مطرقة برأسها تنظر إلى الأرض قالت له .. لو جئت مبكرا عن الموعد لانتظر بالسيارة ولكن اصعد إلى الشقة لحين الانتهاء من ارتداء ملابسني .. ثم نخرج بعدها سويا ..

- نظر أسامة إليها نظرة ذات مغزى .. وكأنما أدرك ما تعنيه .. فهو من الذكاء بحيث لا تجليه إشارة كهذه .. صافحها ضاغطا على يدها برفق .. وكأنما يبلغها أن رسالتها قد وصلتته وفهم معناها .. وابتسم ابتسامة بلهاء .. وغادر مسرعا ... بينما تنفست هدير الصعداء وكأنما أزاحت هماً جاثما على صدرها وتخلصت من حمل ثقيل أتعب كاهلها طيلة الأيام الماضية .. ولم تفيق هدير من غفوتها إلا عندما نبهتها زميلة لها بوجود زبونة تطلبها ...

- بعدما أدركت ان الأمر صار واقعا وحقيقة ملموسة انتابني شيئا من التردد ومحاولة إعادة التفكير قبل أن تقع الواقعة ويصير الأمر تحصيل حاصل ولا مجال للتراجع فيه .. وبدأت حالة من الصراع النفسي تجتاحني وأفكار من الماضي تحاول أن تشدني وتبتعد بي عن الحاضر .. بينما رغبة عارمة وفكر جديد يأخذني ويلقي بي في هذا الطريق الذي اخترته وسعيت إليه .. لما لا وقد ظللت طيلة الأعوام الماضية أقوم رغبة طبيعية تنهش جسدي وتشعل نيرانه .. غير أنني بعد انقضاء هذه الشهور الطويلة في هذا البلد ومشاهدة الكثير من العلاقات المتحررة .. وتبدل الكثير من المفاهيم لدي .. وجدنتني اشتاق إلى إقامة علاقة حتى وان كانت غير كاملة .. و اشعر بالحاجة إلى هذه العلاقة التي سوف تدمغ حياة ماضية وتبدأ بها حياة جديدة أشعر أنها لن تستقيم بدونها .. ولن أجد خيرا من أسامة يقوم بهذا الدور الذي انشده وابتغيه .. فخجله يمنعه من أن يتماذي أكثر مما أريد ... وأيضا تحفظه وبعض ماتبقى له من تدين سوف يمنعانه من الانسياق للنهاية .. وسوف تكون بداية يمكنني بعدها أن أقرر ماذا أنا فاعلة .. وقد كان واتخذت القرار بعد أن أصبح للرغبة والاشتياق الكلمة العليا ...

- كما توقعت جاء أسامة قبل الموعد بأكثر من ساعة .. وكنت انتظره بفارغ الصبر وتجهزت لهذا اللقاء المنتظر وارتديت قميص نوم قصير شفاف ومن فوقه عباءة مفتوحة وطويلة بعض الشيء .. وكنت أتعمد إظهار مفاتن جسدي بانحسار العباءة عن ساقي وكأني في غفلة عنها أودون قصد بينما أقدم له واجب الضيافة .. ثم بعد ذلك ونحن نتحدث سويا .. وتكرر ذلك كثيرا .. وكنت ارقب بإحساس الأنتى تأثير ذلك على

أسامة .. وأتعمد أن أزيد في إغراءه أكثر وأكثر ... وقد أدرك أسامة الرسالة وفهم مغزاها فوجدته يقف فجأة وينقض على جسدي كأنه إعصارا عاتيا يجتاح في طريقه كل شيء يقابله .. وأنا أقاوم وأتمنع وتمنع الأنثى التي تطلب المزيد ..حتى كان ما أريد ..وانتابني في البداية بعضاً من وخز الضمير .. ولكن بعد دقائق قليلة طغى وخز الرغبة والاشتياق على الضمير واجتاحه تماما حتى تواري .. وانفجرت براكين الحرمان والشوق تدمر في طريقها وتجتاح كل ماتبقى من ذكريات القيم والمبادئ .. وانصهرنا معا في بوتقة من الحمم واللهيب أطاحت بنا وألقتنا في برائن الحب المحرم الذي تأكدنا أننا لن نستطيع منه الفرار .

- ابتعدت سريعا عن أسامة بعد أن انهينا لقاء الحب .. وعادت صحوة الضمير وهاجمني إحساس من ارتكب جرما شنيعا يستحق عليه العقاب ... ذهبت الى الحمام أزيل بقايا ذلك اللقاء العاصف ..عدت إلى الحجرة بعد قليل ونظرت إلى أسامة فوجدته قد ارتدى ملابسه على عجل .. ونظرة خجل تملأ عينيه .. فربما تملكه ذات الإحساس الذي تملكني فأنا اعرف عنه خجله وتدينه .. ورفضه الدائم إقامة علاقات كاملة على الرغم من الإغراءات الكثيرة التي يمكن أن يتعرض لها شاب مثله في بلد مثل هذه البلدة شعارها الانفتاح نظرت إليه على استحياء وطلبت منه المغادرة لحاجتي إلى الانفراد بنفسى بعض الوقت .. لم يجبخرج مسرعا وأغلق الباب خلفه دون أن ينطق بكلمة واحدة .. انتابنتي حالة من البكاء المرير ... لا أدري لماذا هذا البكاء وعلى أى شيء .. ولكن يبدو أن ما كان يخالجنى ويدفعني دفعا إلى هذه التجربة رغبة عارمة لكسر روتين الحياة واثبات انى قد تغيرت وأصبحت حرة طليقة ... يضاف إلى ذلك تلك الرغبة المحمومة التي ألهمت جسدي وألغت فكري وعقلي .. وتسابقت الأسباب تدفعني دفعا إلى هذا اللقاء المحموم الذي خططت له وأردته وان كنت لم أضع في الحسبان أن يكتمل تماما .. فكل ما رغبته بعض الملامسات والمداعبات غير أن ثورة البركان قد ألقت بنا في حممه وزلزلت أركاننا فلم نتمالك أنفسنا واندفعنا بكامل طاقتنا إلى نقطة النهاية وكان هذا اللقاء الذي لن يضيع ابدا عن ذاكرتي وسوف تظل تفاصيله عالقة في الذاكرة .. انه اللقاء الفاصل في حياتي بين مرحلتين وقد وضع لهما حدا وأطلق سراحي من كل القيود وألقى بي في الفضاء المتسع أجوب سماءه واحلق إلى ابعد الحدود ...فهو بمثابة الميلاد الجديد وربما تلك الدموع ناتجة من آلام مخاض تلك الحياة الجديدة .

جلست فترة طويلة متكورة حول نفسي على السرير الذي شهد ميلاد هدير الجديدة منذ ساعات قليلة .. لم اعرف كم من الساعات قد مضى وأنا على هذه الحالة التي لا أستطيع وصفها أو تصنيفها .. هل هي حالة ذهول .. أم حالة حزن .. أم تأنيب ضمير .. أم فرحة بحياة جديدة .. أم وداع لحياة حاولت مرارا وتكرارا التحرر منها .. لا أدري ولا أريد أن أدري .. فكل ما أتذكره أنى ظلت على هذه الحالة حتى غلبني النوم فنمت نوما عميقا لم أدري إلا والشمس تملأ الحجرة وتنبير أركانها بعدما غفلت إسدال الستائر على شباك الحجرة الزجاجي .. وتركته دون أن انتبه لذلك .. مثله مثل أشياء كثيرة لم ألاحظها أو أعياها بالأمس ذلك اليوم الاستثنائي في حياتي ..

استيقظت في الظهيرة وما زالت حالة التبدل والذهول تتملكني .. فأنا لا أعلم ماذا يجب فعله بعد أن نلت حرיתי وأطلقت لنفسي العنان وفعلت ما أريد ... لم أفكر في الخطوة التالية ولم أعي أبعاد تلك الخطوة التي أقدمت عليها .. لقد كنت مدفوعة إليها دفعاً وها أنذا بعد أن بردت حرارة الجسد وارتوت أرضه اليابسة لم أعد أعلم عن الخطوة التالية شيئاً .. حاولت أن أدفع عن نفسي هذا البرود وأخرج من تلك الحالة التي تملكنتني .. قمت إلي الحمام أزيل عن جسدي وروحي آثار ليلة تمنيتها ورغبتها وإذا بها تلقي بي في دوامة من الأفكار وتزيد الصراع بداخلي ... تركت المياه الدافئة تتساب على جسدي واستسلمت لها تماماً وزدت من حرارتها حتى شعرت بلسعتها وعدم تحمل المزيد من تلك سخونة .. ولكني استمتعت بها وكأني بتلك المياه أزيل كل الآثار العالقة بي واستعيد جسدي كما كان منذ ساعات .. قضيت في الحمام وقتاً طال أكثر من ساعة من الزمن .. ثم خرجت وتنشفت وجلست أمام المرأة انظر إلى وجهي وجسدي وكأني أحاول اكتشاف ما جد و طرأ عليه من تغير بعد هذه الليلة الماجنة ... أخذت أتحسس جسدي برفق .. فقد كنت أحب هذا الجسد وتفصيله .. وكم عجبت به وحاولت استكشاف مفاته .. وان كنت أعلمها جيداً .. بل كثيراً ما كنت أتعجب بها مع نفسي .. غير أنني لم أعمد يوماً إبرازها وإظهارها للآخرين ... فقد عرفت بين الأصدقاء والجيران بالفتاة الخجولة المحتشمة .. ولاقيت الاحترام والتقدير من الجميع .. ولم اسمح يوماً لأحد ان يتجاوز قدره معي .. أو يحاول الثناء على جمالي ومحاسني حتى وان كان ذلك من قبيل الإعجاب أو الإطراء .. ولكن لماذا لا اشعر الآن بالحب لهذا الجسد .. بل ينتابني شعورا بمقته وكرهيته .. نعم ولما لا أليس هو الذي ساقني إلى تلك الليلة الغابرة .. لا لا لا ... لا تظلميه ياهدير .. فليس جسدي فقط بل أشياء كثيرة أنتِ تدركيها وأفكارا اعتنقتيها وراقت لك .. لا تظلمي هذا الجسد .. فهو وسيلة لتنفيذ أفكارك ... فالأفكار لا بد لها من أرض وواقع حتى تُطبق .. وجسدي هو أرضها وواقعها وملعبها .. وقد استجاب لتلك الأفكار وتم تنفيذها كما أردت فلماذا إذن اللوم والعتاب ... دعك من هذا كله وهيا لممارسة يومك المعتاد ومباشرة ما اعتدت القيام به في هذا اليوم ... وحاولي نسيان أو تناسي ليلة البارحة ... فهيا إلى الصلاة والدعاء كما اعتدت الصلاة!!! .. ولكن كيف أصلي؟ ... وهل بعدما حدث بالأمس يجوز لي صلاة ... كيف أقف بين يد الله وادعوه .. ماذا أقول له .. هل اطلب الصفح والغفران .. اطلب المغفرة .. التوبة .. ولكن هل حقيقي أريد التوبة!! .. كيف لي أن أصلي وأنا بهذه الحالة ... هل اضحك على نفسي أم اضحك على الخالق ... لا لا .. لن أصلي .. فلست بهذه الإنسانة الطاهرة التي كان قلبها يمتلأ إيماناً وتقييم صلواتها بخشوع وصدق ... لن أستطيع الصلاة .. تساقطت من عيني بعض الدموع وأنا أطوى سجادة الصلاة واركنها في ركن بعيد بعدما قررت أن لا اقرب الصلاة حتى تستقيم أموري ... حاولت الهرب بعيداً عن نفسي ... وتذكرت أنني أغلقت الجوال ليلة أمس للإعداد لتلك الليلة المشهودة .. ونسيته على هذه الحالة ... قمت من فوري وفتحت الجوال وهالني عدد المكالمات الفائتة التي لم أرد عليها بعضها من القاهرة من والدي وخالي .. والبعض الآخر من صديقات المول وصديقتي "الأنتميم" عايدة التي يرجع إليها

الفضل في السفر إلى هذه البلدة منذ أكثر من عشرة شهور ومن يومها لم نترك بعضنا البعض .. ورعتني أسرتها وكأني ابنتهم .. ولولا وجودهم هنا ومتابعتهم لي لكنت شعرت بالغربة الحقيقية .. وربما ماكنت استطيع تحمل الوحدة وهذه الأجواء الغريبة عني ... تذكرت الآن أنني واعدت عايدة بالأمس أن نتقابل مساء لقضاء السهرة معهم في البيت كما اعتدنا في كثير من الأحيان ... فقد كنت اخطط لانتهاؤ سهرتي مع أسامة مبكرا .. ثم اذهب للقائها والسهر مع أسرتها.. غير أن الأمور سارت معي على غير ماتوقعت وأصابنتي تلك الحالة الغريبة التي اخذتني الى هذا النوم العميق .. - يجب مداوة تلك الأخطاء البسيطة وطمأنة الأصدقاء والأهل في القاهرة حتى لاتأخذهم الظنون...وبعد ذلك اعيد التفكير فيما حدث بتأني وروية .. اتصل اولا بصديقتي عايدة .

- أهلاً عايدة

- أهلاً هدير .. أين أنت .. لقد شغلنا عليك منذ الأمس

- أسفة عايدة لقد أغلقت الجوال ونسيته على هذه الحالة ولم أدرك ذلك إلا الآن

- اتصلنا عليك مرات عديدة وانتابنا القلق .. خاصة وقد تواعدنا لقضاء السهرة سويا عندنا في البيت.

- نعم عايدة لقد كنت مرهقة بعض الشيء ويبدو أنني خلدت إلى النوم ولم استيقظ إلا منذ وقت قليل واتصلت عليك مباشرة بعدما رأيت رقمك على الجوال حتى أطمئنك .

- حسنا فعلت .. لقد انتابنا القلق و بالأمس كنا سنأتي إليك أنا ووالدي للاطمئنان عليك ..

ولكني تذكرت انك أحياننا تقضين السهرة مع بعض صديقاتك في المول فطلبت من

والدي أن نتريث للصباح .. وكنا نستعد الآن للذهاب إليك .. ولكن الحمد لله أنك بخير

- لاتقلقي عايدة أنا بخير اطمئني وطمأني أسرتك واشكري والدك كثيرا وسوف نتفق

على لقاء آخر ربما مساء اليوم أو الغد ...

- كما تشائين عزيزتي نراك على خير ..اعتني بنفسك وإن أردت شيئا أطلبه على الفور

فنحن أهل .

- نعم أدرك ذلك تماما بارك الله فيكم وحفظكم من كل سوء .

- أنهيت المكالمة وجلست برهة مع نفسي...لقد كذبت على أعز صديقة ولم استطع البوح

لها بسري وفعلتي التي فعلتها بالأمس وقد اعتدت سابقا مكاشفتها وأخذ رأيها في أدق

أسرار حياتي ..لقد تغيرت منذ الأمس واصبح لي اسرار خاصة لايمكن إطلاع أحدا

عليها وإن كانت أعز صديقة وهاهي أولى تبعات تلك الليلة ... إن ليلة الأمس لن تنتهي

بوقتها ويبدو ن تبعاتها سوف تفوق تلك اللحظات التي قضيناها سويا أنا وأسامة .

- ولكن ماذا عن خالي جمال .. هل أعيد عليه الكذب مرة أخرى وأتحجج بتلك الحجج

الكاذبة ... انه خالي وصديقي العزيز الذي أستشيريه في كل كبيرة وصغيرة في حياتي

..وقد أفرط في وصاياهُ وهو يودعني عند سفري وحضوره إلى هنا ... وأنا أجيبه

لاتخف ياخالي ولا تخشي شيئا فابنة أختك بمائة رجل وسوف احافظ على نفسي ولن

انجرف مع التيار أياً كانت شدته ... هل حافظت على وصايا خالك؟ .. بل هل نفذت وعودك التي قطعيتها على نفسك مع أهلك وأسرتك؟ .. هل صوتت الأمانة التي أخذت على نفسك عهداً ووعوداً أن تحافظي عليها؟ ... كيف السبيل للحديث مع خالي؟ .. وماذا يمكن قوله؟ .. وكيف يطاوعني لساني على الكذب عليه؟ ... ولكن هل استطعت مصارحته بالحقيقة؟ .. هل أجروء على إخباره أنني قضيت ليلة الأمس في أحضان رجل غريب لا تربطني به صلة ... أقول له .. فرطت في شرفكم واشتريت به حرية ربما تكون زائفة .. لا لن استطيع أن اتحدث معه أو اتصل عليه .. سوف أرسل له رسالة قصيرة أطمأنه على أحوالي حتى أتمالك نفسي واستعيد توازني .. وربما استطعت بعدها أن أتحدث معه ومع أسرتي .. ولكن إلى هذا الحين سوف اكتفي بالرسائل القصيرة التي تطمأنهم وترجئ سؤالهم عني ..

- عدت مرة أخرى إلى السرير أكور نفسي واستعيد أحداث تلك الليلة وتوابعها التي لم أفدرها حق قدرها ولم أفكر لحظة في نتائجها .. وقد أدركت الآن كم كنت ساذجة عندما تخيلت أنها لحظات وسوف تنتهي .. فتلك الليلة زلزال هز كياني وحياتي .. ويجب أن أفيق منه سريعاً .. حتى أدرك تبعاته .. فتلك التبعات ربما تفوق في قوتها وأثارها ما خلفه الزلزال من أثر وربما من دمار .

- استأنفت العمل بداية الأسبوع .. وكالعادة ذهبت مبكراً .. تبادلنا التحية مع الصديقات في المتجر ... حاولت الظهور بحالة طبيعية .. وجاهدت كثيراً للحفاظ على أن أكون هدير التي اعتادوها .. على الرغم من أن تلك الواقعة حدثت بسرية تامة .. غير أنه تملكني شعور غامض أن الجميع يعلم بها .. ومن لا يعلم يستطيع قرائتها على وجهي الذي خيل إلى أنه يفضح تفاصيل تلك الليلة .. مضى من الوقت أكثر من ساعتين حتى بدأت اعتاد العمل وأعيش تفاصيله المعتادة وقد حاولت إبعاد أحداث تلك الليلة عن الذاكرة والتركيز في اللحظة الآنية ومتابعة حركة الشراء والبيع وتعليقات الصديقات وسير العمل .. وما أن جاء وقت الغذاء حتى خرجت كالعادة إلى احد مطاعم المول وانتظرت صديقتي عايده وكأني لم أرها منذ سنين .. لم يطل الانتظار كثيراً وسرعان ما أن حضرت .. تبادلنا التحية وطلبنا غذائنا الذي اعتدناه وجلسنا نتحدث سوياً .. وبقدر ما كانت عايده تلتهم غذائها التهاماً من فرط جوعها .. كنت عكسها تماماً ولم اشعر بأى رغبة في تناول الغذاء .. ولكن حاولت مجاراتها على قدر استطاعتي حتى لا ينتابها شك ... تحدثنا في أحاديث شتى خاصة بعض المصاعب التي تقابلها في عملها وشجارها مع زميلة من زميلاتنا لأسباب تبدو تافهة من وجهة نظري .. حتى جاء ذكر يوم الخميس وإغلاق الجوال .. عندها ازدادت دقات قلبي وارتفع صوتها حتى خشيت ان تسمعها ... وتغير لون وجهي .. وأحسست أن عايده سوف تخوض في تفاصيل هذا اللقاء ولكن من أين لها ان تعلم شيئاً .. انه خيالي المريض الذي شغله هذا اليوم وماحدث فيه وصور لي علم الجميع به ... وقد أدركت الآن حكمة المثل الشعبي القائل "اللي على رأسه بطحة يحسس عليها" فتلك البطحة التي أصابت الجسد والروح جعلتني في خوف مستمر أن يشعر بها احد أو يسأل عنها ... تحدثت عايده بعفوية عن ذلك اليوم وما انتابهم من قلق

وهواجس وخوف اسرتها الشديد أن يكون قد حدث لي مكروها .. قارب وقت الراحة من الانتهاء ... ويبدو أن عايذة لاحظت الفتور الذي يعتريني وعدم الحماس للاستماع إلى الأحاديث التي كانت تشغل بالنا في الفترة السابقة حول كم المبيعات واقتراب الإجازة السنوية وأفعال الزميلات مع بعض العملاء وغير ذلك من الأشياء التي نصادفها في يومنا ونجد متعة في تبادل الحديث عنها والتعليق عليها .. وفاجأتني عايذة بسؤال مباغت عن سبب حالة التبدل التي أبدع عليها .. وتمكنت من الهروب من الإجابة وأوعزت إليها انه الإجهاد الذي ربما جعلني في حالة مزاجية ليست على مايرام .. انتهت فترة الغذاء وعدنا أدراجنا إلى عملنا .. وما أن اقتربت ساعة الغروب حتى بدأت دقات قلبي تعاود النشاط من جديد ويرتفع صوتها ويعلو وكأنها تنتفض تحاول إيقافني من غفوة أملت بي .. فبعد قليل يحين الوقت الذي يأتي فيه أسامة إلى المول ويبدأ في ممارسة برنامج اليومي والسير والتنقل عبر طواقمه وقطع الوقت في المشاهدة والعشاء والتسوق ... انتظرت طويلاً .. وجال بصري كثيراً أمام المتجر وحوله .. بل تطلعت إلى ابعده من ذلك ولكن لم ألاحظه أثر .. ولم أراه في ذلك اليوم .. ولا أدري هل شعرت بارتياح أم أن ذلك أزعجني؟ .. وربما أردت رؤية الشريك في الجرم الذي اقترفناه .. فقد يحتاج الجاني أن يتحدث بجرمه .. وربما امسك عن الحديث حتى لايفضح أمره .. ولكنه يشعر دوما انه بحاجة أن يطلق ما بداخله لأحد .. وليس هناك أفضل من شريك الجريمة يحفظ سره ولا يبوح بجرمه لأحد ... ربما هذا هو الشعور الذي اجتاحني ... ولكن لم أقف طويلاً أحلل وأفكر فقد اكتفيت بهذا اليوم وأحداثه .. وحانت ساعة الإغلاق وانتهاء يوم العمل .. وسرعان ماعدت للبيت مرهقة .. قمت ببعض الأعمال المعتادة ثم خلدت إلى نوم عميق يأخذني إلى اليوم التالي وأعيد الكرة وهكذا دواليك فالحياة هنا مثل الساقية تتحرك بديناميكية واحدة ورتم لا يتغير كثيراً .. والجميع هنا يعطي العمل الأهمية الكبرى في حياته .. لما لا وقد تغرب عن بلاده وترك أهله لهذا السبب ... مرت ثلاثة أيام وقارب الأسبوع على الانتهاء ولم أر فيه أسامة .. ولم يكلف نفسه حتى الاتصال بي .. أخذت الأفكار تتأرجح في رأسي عن سبب انقطاعه عن الحضور وممارسة حياته التي اعتادها .. مما لاشك فيه أن تلك الليلة هي السبب في ذلك .. ولكن لماذا؟ هل شعور بالخجل .. أم شعور بالذنب .. أم عقاب للنفس؟ .. وهل قرر المقاطعة وعدم الحضور هنا ثانية؟ .. هل شعر بالتورط في هذا الأمر؟ .. وربما اتهمني بالتخطيط لهذا؟ .. أسئلة كثيرة بدأت تدور في رأسي وتلح إلحاحاً ولا أجد لها إجابة .. حتى فاض بي وضقت بالتفكير مع نفسي .. شعرت بحاجتي إلى من أتحدث معه وأستشير به .. فربما كان الحديث مع احد مريحا إلى حد ما .. وربما وجدت عنده جلاء لما يضيق به صدري من أسئلة كثيرة تخيم عليه ... فكرت جدياً أن أتحدث مع أحد .. ولكن أي من الصديقات يمكن الثقة بها في حديث كهذا ... بالطبع ليست صديقتي عايذة فهذا الحديث لايمكن أن يصل إليها فهي صديقة "هدير الأولى" ولا يمكن أن اصددها في هدير الأخرى التي انطلقت يوم الخميس الماضي من قفصها وتركت حياتها القديمة خلفها ... ولكن من ياترى يمكن أن أقص عليه ماحدث واستتير برأيه .. ربما تكون صديقتي الروسية "ساندرا " ... أنها صديقة

عزيزة وكم تحدثنا سويا في أمور كهذه .. وهى إنسانة متحررة عاشت تلك التجربة ومازالت مستمرة .. وكم من مرة روت لي أحداثا ومواقف يخجل الإنسان أن يحدث بها نفسه .. وعادة تأخذ تلك الأمور ببساطة وتعددها من أساسيات الحياة ولا تخجل من فعلها أو الحديث عنها .. نعم فلتكن ساندرنا هى هدفي ولكن مهلا إن ساندرنا تربطها صداقة قوية مع باقي الزميلات وربما روت لهم الحكاية وأصير حديثا تلوكه الألسن واتعري أمامهن .. ومن البديهي اكتشاف شريكي في الفعل فجميعهن يعرفن أسامة ويدركن الصداقة التي تربطنا سويا .. وكم من مرة سمعت تلميحاتهن بل أخذن يُصرحن بتعليقاتهن عن علاقتي بأسامة .. وكنت أنفيها بثقة وقوة لأن الأمور بيننا لم تكن تزيد عن مجرد تعارف أو صداقة في مهدها فقط .. ولكن الأمر تغير الآن .. ولم يعد كما كان ... لا لا .. لن أتحدث في هذا الأمر مع أحد .. يكفيني ما أشعر به من خزي وخوف .. فلن أزيد بالتوجس من الغير وعمل حساب الآخرين ومن منهم علم بالأمر ومن لم يعلم .. سأحاول إخفاء هذا الأمر والاحتفاظ بذلك السر ولن أبوح به لأحد مهما تحملت من مشقة وعذاب الكتمان ... سوف أحاول نسيان هذا الأمر واحيا الحياة بالطريقة المعتادة ونرى ما سوف تجود به الأيام .

- مرت الأيام بطيئة ولم يظهر أسامة حتى انتصف الأسبوع التالي وفي يوم شعرت أن هناك عيوننا تراقبني من بعيد .. التقت فجأة فوجدت أسامة متكيء على أحد الأسوار المقابلة للمتجر ويتبعني بنظراته .. وما أن التقت نظرانا حتى اعترانا سويا حالة من الارتباك والحيرة .. مرت لحظات لم ندري ماذا نفعل .. حتى قطعها أسامة بإشارة تحية بيده .. رددت عليها بالإيماء برأسي .. واستدرت مبتعدة عن مرمى بصره وقد انتابنتي حالة من القلق وازدادت ضربات قلبي .. ولم استطع هذا اليوم استعادة هدوئي إلا بعد أن انتهيت من العمل وذهبت إلى البيت أحاول استرجاع تلك اللحظات وأترجم شفرة هذا اللقاء السريع ومدلوله .

- مضى أكثر من أسبوعين على لقاءنا .. وتغير الكثير من العادات والأفكار وماتت مشاعر وُبُعِثت مشاعر جديدة .. وألقيت بعض المعتقدات والأفكار بعيدا .. ووثقت معتقدات وأفكار جديدة كانت قيد الاختبار ... فقد كان هذا اللقاء بمثابة القطرة السوداء التي تغلغت في كوب الماء الشفاف فعكرت بياضه وغيرت تركيبته وصفاته .. ويبدو أن تبعات هذه الليلة قد فاقت الكثير من التوقعات .. فقد بدوت في حالة اختلاف كلي عن هدير التي عرفتتها .. وأزحت جانبا أشياء كانت من مقومات حياتي ... وألقيت الكثير من القيود بعيدا .. وأصبحت أكثر تحررا وأوسع رؤية .. ورويدا رويدا .. زال الأثر السلبي لتلك الليلة وشعرت أنني أصبحت أكثر قوة عن ذي قبل .. وان الحياة باتت بالنسبة لي كتابا مفتوحا استطيع قراءته والتعامل مع كلماته وحروفه ... ألقيت الخوف جانبا وأصبحت أكثر جرأة وجسارة ... فلم يعد هناك ما أخشاه وأخاف عليه .. حتى جسدي الذي كنت أقيم حوله الحواجز والسدود .. أزلتها بيدي وهدمت ماتبقى منها ... وأصبحت أشعر بقيمة الحرية الكاملة والحياة المنفتحة التي حلمت بها كثيرا .. وتمنيت الوصول إليها .

- تبادلت مع أسامة بعض الكلمات القليلة خلال الأسابيع التالية .. ولم نتطرق إطلاقاً لهذا اليوم وماحدث فيه ... فقد لمحت في عينيه لمحة خجل وإن كانت مازالت تمتلئ رغبة وطلب المزيد .. غير انه لم يشر إلى ذلك .. بل تعمدنا في لقاءتنا القصيرة في المول أن نتحاشى تماماً وقائع ذلك اليوم فلم يلمح أسامة إليه ولم اشأ أن اذكر شيئاً عنه .. ورويدا رويدا كدنا أن ننسى أحداثه بعد مرور ما يزيد عن الشهر ... كسر اسامه عادته السابقة ولم يعد يتواجد بالمول بصورة يومية كما كان .. واعدت على عدم رؤيته لأيام عدة حتى صار الأمر طبيعياً حتى جاء يوم وجدت أسامة أمامي فجأة وبينما المتجر يغط بالزبائن وجدته يشير لي بلمحة من عينيه .. اقتربت منه . وسألته عن الأمر في فرع .. فقد ظنت أن هناك مكروها قد حدث فهو لم يعتد الحديث معي وقت الذروة وفي خضم العمل .. ولكنه فاجأني بقوله في عجالة ..

- هدير غدا الخميس إجازتنا سويا .. هل عندك موعد أو شيء من هذا القبيل .
- أجبته كذباً .. لا .. فقد سبق وارتبط بموعد مع عايدة لقضاء سهرة خارج المنزل .. ولم أود مصارحته وأحببت أن استمع إليه للنهاية .
- نظر لي نظرة ذات مغزى وقال .. ما رأيك في سهرة نقضيها سوياً .. ولما لم أجب .. استطرد قائلاً سوف احضر في نفس موعدنا السابق وسألحق بك في الشقة ... ومد يده مصافحاً وضغط على يدي في إشارة ومعنى فهمته وابتسمت له .. وأجبته سريعاً .. اتفقنا ... غادر المكان سريعاً .. وقفت لحظات مبهوتة أحاول استيعاب الموقف وتلك الموافقة السريعة التي ابديتها كما لو كنت بانتظار هذه الدعوة ... أفقت على لكزة من ساندررا و سرعان ما انصهرت في زحمة العمل وطلبات الزبائن ... وفي نهاية اليوم عدت إلى المنزل أحاول لملمة أفكارى والترتيب لهذه الزيارة ولقاء آخر أدركت أنني كنت انتظره وأتمناه ... أخذتني الهمة للتجهيز لهذا اللقاء وألغيت مواعيدي مع عايدة .. وطمأنت الأهل في القاهرة .. في محاولة لتدارك سلبيات اللقاء الأول حتى لايفسد أحد علينا لقاءنا هذا ... حتى جاء اليوم الموعود والساعة المرتقبة ..
- وقد كان .. وحضر أسامة في مواعده .

"الفصل الخامس "

اعتدت لقاء أسامة .. وأصبحت الإجازة الأسبوعية موعدا المتفق عليه... ووضاع مع الأيام كل شعور بالذنب و تأنيب الضمير .. أطلقت لرغباتي العنان أفعل ما يحلو لي ضاربة عرض الحائط بحياتي الماضية ونصائح والدي وخالي.. نعم خالي الذي جلس معي جلسة طويلة قبل السفر يحاول توضيح مايمكن مواجهته في الغربية والتعرض له .. وكم كان نافذ البصيرة عندما تحدث معي في النقلة النفسية التي تصيب الإنسان إن لم يكن به من القناعات وقوة الإرادة مايحول دون انغماسه في سلبيات المجتمع الجديد والتطبع بطبعه ... وفقدان نفسه شيئا فشيئا ... نعم ياخالي استمعت إليك ووافقك الرأي .. ولكنى لم استطع البوح لك أنني أعاني تمزقاً وارغب في إلقاء قناعاتي جانبا وارتداء ثوبا جديدا أغير به جلدي .. وأحيا حياة مختلفة ... ربما صادف هذا المجتمع المنفتح هوى في نفسي كما لو كنت انتظره واسعي إليه .. وما أن وجدته حتى ألقيت بعباءتي القديمة ولبست ملابس المتحررة وسرت على هواه .. بل على هوائي أنا ... فالعصفور عندما ينطلق من محبسه لايعرف وجهته .. ولا يعلم أى الطرق يسلكها .. ولكنه يشعر فقط بالحرية .. وها أنا اشعر بتلك الحرية .. ربما لم احدد طريقي بعد أو أسعى إلى هدف واضح .. ولكن ما اعلمه أنني سائرة على الطريق .. وسأصل إلى ما أبغيه ... نعم لقد استمعت إلى نصائحك ياخالي .. ووعدتك أن أحافظ عليها ... ولا أنسي إلحاحك في النصح بالمحافظة على نفسي والتعقل في أموري .. خاصة وانك من أقنعت والداي بسفري وأخذت على عاتقك مسئولية هذا السفر وأعربت لهم عن ثقك الكاملة في شخصي ..وفائدة تلك التجربة وما سوف تضيفه وتنقل به تجاربي السابقة وما سوف اجنيه من ورائها من نجاح وثقة بالنفس لم أنسى كلماتك ياخالي .. وكثيرا ما كنت أسترجعها عندما أقدم على فعل شئ يخالف تلك النصائح .. ولكن للأسف ليست بالكلمات

والنصائح يحيى الإنسان .. فقد ألقيت ذلك جانبا منذ زمن ... وها أنا أعيش الحياة التي أريدها وسعيت إليها.... فلا لوم أو عتاب بعد الآن .. ولكن حياة وانطلاق وتحرر .
- مرت أيام وأسابيع .. وبدأت هدير تتلمل من علاقتها مع أسامة ... فهي لم تحبه يوما ولم تشعر نحوه بجاذبية .. وكان مايربطهما الصداقة السريعة التي جمعت بينهما في المول واعتيادها مشاهدته والحديث معه ربما لافتقادها صداقات الرجال .. أو بفعل الغربة .. أو الحنين الى أحد من بلدها الذي عاشت ونشأت على أرضه ..أوربما لأشياء أخرى نفسه لم تشغل بالها بالبحث عنها .. وحينما أرادت إقامة علاقة لم تجد سواه أمامها .. فهو الشاب المناسب للحفاظ على سرها وحفظه .. ويمكنه أن يستمع إلى كلامها وينفذه ويطيعه بحذافيره .. وهو ما كانت تبحث عنه وتريده .. لذلك لم تجد له بديل ... غير انه مع الأيام وبعد أن ارتوت عاطفيا .. وأصبح وجود أسامة في حياتها أمرا واقعا خاصة بعدما أصبح يقضي معها الساعات الطوال وفي بعض الأحيان يبيت عندها يوم الإجازة ويظل معها إلى وقت الغذاء أو المساء ثم يغادر .. أصبحت الآن تراه بصورة أخرى ... وتبينت لها الكثير من الصفات البغيضة التي لاتستسيغها وتثير ضجرها وتسبب لها الضيق و الملل .. وعلى عكس ما أرادت وسعت إليه فقد انقلبت مزاياه التي اختارته على أساسها الى عيوب قاتلة ..فقد كان خجله الزائد عن الحد وانصياعه الكامل لرغباتها وشخصيته الضعيفة تثيرها وتجعلها في حالة عصبية ومزاجية سيئة .. وكثيرا ماكانت توبخه وتحاول أن تجعل منه شخصية يعتد بها ... غير انه ومع ثقافته ووعيه لم يكن بالشخص القوي الذي تتمناه وتسعى إلى وجوده في حياتها.. هذا بخلاف بعض النقاط التي بدت تتكشف لها مع استمرار تواجدهما معا والفترة الطويلة التي مرت على علاقتها .. فقد أدركت كم هو بخيل و يحب المال ولا يسمح لنفسه بالانفاق إلا في الضروريات القصوى .. وهذا مازاد بغضها عليه واشمئزازها من الكثير من تصرفاته التي باتت غير مستساغة أو مقبولة بالنسبة لها .

- أدركت الآن أن أسامة انتهى دورة في حياتي .. وانه قد قام بواجبه في تلك المرحلة من الحياة الجديدة .. وأطلق العصفور من قفصه .. وعليه أن يغادر .. أويطير العصفور مبتعدا .

- لم أحاول أبعاد أسامة عن حياتي كلية وبصورة قاطعة .. فربما احتجت إليه في بعض الأمور .. فحياتي في هذه البلدة الخليجية تخلو من الرجال .. والصداقات هنا من الصعب إقامتها .. فطبيعة الحياة وأوقات العمل لانتيج للإنسان هذا الخيار .. لذلك عمدت على المحافظة على وجوده في حياتي وصداقته في أضيق الحدود ... وحاولت تقليل لقاءاتنا إلى أقصى درجة حتى كادت أن تنقطع على الرغم من إلحاحه الشديد في كل مرة يأتي فيها .. ولكني أو عزت له أن نظل أصدقاء ونباعد بين لقاءاتنا خيرا من إنهاء تلك الصداقة ... فاستجاب لطلبي كالعادة ورضخ لأوامري .. وظلت حياتنا على هذه الوتيرة .
- شهدت تلك الأونة تغيرا شديدا طرأ على شخصية هدير .. وبدت مرحلة جديدة من حياتها .. أرادت أن تنطلق إلى حياة الحرية وفك كل قيودها والتحرر من بقايا الأغلال التي كانت تقيدها ..فبعد أن كانت صداقتها مع عايدة هي محور حياتها في هذا البلد ..

رويذا رويذا بدأت تخفت هذه الصداقة .. وباعد بينهما طبيعة العمل لكل منهما .. فلم تكن الظروف تسمح لهما باللقاء كثيرا .. حتى فترة الغذاء التي كانت تجمعهما باتت متباعدة بعد اختلاف مواعيد العمل بينهما .. وأصبح الحديث بينهما قليلا بعد أن تباعدت الاهتمامات المشتركة بينهما ولم يعد هناك مجال يربطهما سويا .. بالإضافة إلى شعور هدير أن أفكار عايدة المتزمتة تقيدتها وتطبق على نفسها .. فهي مازالت كماهي لم تغيرها الأيام تتمسك بالتقاليد والقيود العفنة .. وكم من مرة دار بينهما حديث شعرت هدير بعده كم الهوة التي باتت تبعدهما والفرقة بين شخصيتهما .. لذلك لم تعد عايدة هي الصديقة الأقرب ... وعمدت هدير على استبدالها بصديقتها في المتجر الروسية "ساندرا" والمغربية "لارا" .. فبعد مايقارب إحدى عشر شهرا قضتهم في العمل معهما .. وجدت تقاربا كبيرا بينهما .. واستطاعت التواصل معهما وزادت مع الايام رابطة الصداقة بينهما

- ساندرا على الرغم من كونها روسية الجنسية غير أنها تجيد التحدث باللغة العربية بلكنة عربية محببة ..وهي فتاة جميلة الملامح خفيفة الظل .. ولها آراء جريئة ومتفتحة وتساير العصر والحالة التي أمر بها .. واجد دائما السعادة في الحديث معها وكثيرا ماكانت تروى لنا الكثير من نوادرها الحياتية ونحن نستمع إليها وتتعالى ضحكاتها ... بل ربما تجاوزت ذلك إلى الغوص في أمور ساخنة أكثر حساسية .. فتتعالى الضحكات والتعليقات .. وكنت في البداية أجد حرجا وأنا استمع إليها في بعض الأمور الخاصة .. و انظر إلى لارا صديقتنا المشتركة نظرات تعجب واستفهام .. وتشير لي لارا بما معناه انه من الأمور العادية ولا داعي لهذه الدهشة التي ربما تثير استنكارها ... ومع الأيام أصبحت لا أطيق البعاد عن ساندرا ولارا .. وصرنا صديقات لانكاد نفترق إلا لنلتقي سواء في العمل أو خارجه واعتدنا ثلاثتنا قضاء يوم الخميس سويا نتواعد على السهر في احد الملاهي الليلية المنتشرة في جميع الفنادق الضخمة في هذا البلد والتي تعد إحدى أماكن السهر والمتعة في آن واحد .. نقضى ردا من الليل نرقص ونلهو ثم نستمع إلى غناء إحدى الفرق العربية أو الأجنبية المنتشرة هنا بكثرة .. وكل ملهى ليلى له مذاقه الخاص ومايميزه من ألحان شرقية أو غربية .. فكل شيء متاح ومباح فتلك الإمارة استطاعت اجتياز العالمية للجذب السياحي وسعى إليها السائحون من كل حدب وصوب يقضون بها أيام إجازاتهم يستمتعون بمشاهدة مبانيها الفخمة وسهراتها الممتدة .

- شعرت عايدة بابتعادي عنها .. ومحاولة التهرب منها ومن زيارتهم في أيام الإجازات كما اعتدت من قبل .. وكم من مرة سقت إليها من الحجج والأسباب التي ربما أفتعتها أولم تقتنع بها ... وكنت أجد نظرة شك وعدم ارتياح في عينيها ... ويبدو أن والد عايدة ووالدتها أصابهما القلق من انقطاع زيارتي لهم وهم من اخذوا على عاتقهم أن يكونوا لي بمثابة الأهل والأسرة في هذا البلد .. ولكونهم يشعرون بالمسئولية تجاهي ويخشون حدوث مكروه أو شيء تسبب في ابتعادي عنهم .. فقد ألحا على عايدة لمحاولة معرفة أسباب التغيير الذي أصابني وجعلني انصرف عنهم كليا وابتعد عن سهراتهم وزيارتهم

... حاولت جاهدة أن اطمئنهم وأزيل الشك من نفوسهم .. وعزيت لهم ذلك التغيير المفاجيء لحاجتي إلى الراحة بعض الشيء بعد جهد العمل الشاق طوال الأسبوع .
- اقترب موعد الإجازة السنوية .. وعمدت إلى زيارة أسرة عابدة أكثر من مرة قبل أن قيامي بالإجازة حتى أطمئنهم وأزيل أى رواسب لهواجس سلبية ألمت بهم أو استقرت في نفوسهم خلال الفترة الماضية ... وماهى إلا أسابيع قليلة حتى حان وقت الإجازة والسفر إلى الأهل في القاهرة بعد عام كامل قضيته بعيدا عن الوطن و الأهل والأصدقاء تجهزت ليوم السفر .. وودعت الصديقات .. وأسرة عابدة .

- حزمت حقائبي ... وأخبرت والدي بموعد وصول الطائرة إلى مطار القاهرة .. وبمجرد أن هبطت الطائرة ووضعت قدمي على ارض المطار .. حتى انتابني شعور غريب لم استطع تبينه .. فهو مزيج من الفرحة برؤية الأهل والأصدقاء بعد غربة عام كامل .. وشعور آخر يقابله بالخوف .. والاغتراب في الوطن ... فقد شعرت أنى تركت جزءا منى هناك .. ولم اعد أنا هدير الأولى .. شئى ما ينتزعني من نفسي وهاجس يصرخ داخلي هذا ليس مكانك ولا تلك أرضك ..بئالاه من شعور قاسي أن تشعر بالغربة بين أهلك وناسك ووطنك أعرف شعور الغربة وقد انتابني كثيرا هناك .. غير انه يختلف تماما عن شعوري هذا ... فهناك كنت احلق كالطائر الذي لايجد له أرضا يستقر عليها ... وكنت اعزي شعور الغربة إلى عدم الوصول إلى حالة الاستقرار التي تتيح لي الرسو على أرض والاستقرار بها خاصة وانها ليست أرضي التي اعتدتها ... ولكنى هنا في أرضي ووطني ..هؤلاء أهلي .. هنا الاستقرار ..هنا الجذور راسخة .. فما بال هذا الشعور يتملكني .. هل للابتعاد تلك الفترة الطويلة ؟ ... هل تغيرت إلى درجة الشعور اني نبت غريب عن تلك الأرض؟.. وأن الأرض نفسها تلفظني كما لو كنت جسم دخيل وغريب عنهاما هذا الذي أفعله بنفسي .. أفكار .. أفكار ... أفكار.. حتى في تلك اللحظات .. فلأترك كل شىء وراء ظهري وأعيش لحظة لقاء الأهل والأحبة .

- خرجت من صالة المطار .. وأخذت أجوب بنظري المستقبلين الذين ينتظرون ويلوحدون لكل خارج من الصالة .. وقد اصطفت أعداد كبيرة كل ينتظر ذويه أو صديقه .. والكل يلوح ويصيح لمن يتعرف عليه أو يلمحه من خلف الزجاج الفاصل ... وما هى إلا لحظات قليلة حتى سمعت اسمي بين الأسماء الكثيرة التي أطلقها المستقبلون للنداء على أقاربهم .. ونظرت سريعا إلى مصدر الصوت ووجدت أخي حسام يرفع يديه ملوحا .. وسرعان ماجاء مسرعا .. أخذته بالأحضان والقبلات وسريعا اخذ ترولي الحقائب عني واخذ يسوقه مبتعدا عن ازدحام المستقبلين ..وما ان ابتعدنا قليلا حتى التقيت والدي ووالدتي .. ووجدتهما في انتظاري وفرحة اللقاء بادية على وجههما ...وكان لقاء حار... استعدت معه توازني .. وشعرت في أحضانهم بالعودة إلى ارضي ووطني .. ركبنا معا السيارة وأخذت انظر إلى الشوارع المزدهمة والسيارات الكثيرة التي تجوبها بينما نتبادل الحديث والسلامات ...واستعيد مع الأسرة الذكريات .. ارووي لهم بعض القصص والأحداث السريعة .. وأحاول التعرف على أحوال الأهل والأقارب .. وفجأة خطر على

بالي خالي جمال .. بادرت والدتي بالسؤال عنه ولماذا تخلف عن لقائي ... فاجائتني بخبر مرضه وتعرضه لوعكة صحية منذ يومين ووجوده بالمستشفى لإجراء بعض التحاليل والإشاعات وربما يخرج غدا أو بعد الغد بعد الاطمئنان علي صحته ... نعم نعم فقد اتصلت به منذ عدة أيام وكان صوته خافتا على غير العادة .. ولكنه ارجع ذلك إلى نزلة برد ألت به .. سوف أزوره إن شاء الله ويكون قد تعافى واسترد صحته ... فقد أحضرت له بعض الهدايا التي يحبها وأظنه سوف يسعد بها كثيرا ...

- وصلت هدير إلى منزلها وبعد تبادل السلامات وزيارة الأهل والأصدقاء وانقضاء يومين على وجودها في مصر بدأ ينتابها شعور الغربة الذي اجتاحتها مع بداية رحلتها .. وتمكن منها هذا الإحساس حتى وهى في معية والدها والدتها وأخيها .. فلم تجد الكثير لتقوله.. ولم تجد الجديد تسمعه ... سعت للخروج من هذا الجو ومحاولة التغلب على شعور الغربة الذي اجتاحتها .. طلبت من والدتها زيارة خالها جمال بعد أن تسألت عن سبب تأخره في الخروج من المستشفى .. ولم تجد إجابة شافية من والدتها .. فقد أعربت لها عن عدم علمها ببقائه كل هذه المدة .. وأخبرتها أنهم سوف يزورونه مساء اليوم.

- تأهب الجميع لزيارة جمال والاطمئنان عليه .. وحملت هدير بعض الهدايا التي أحضرتها معها وذهبوا جميعا إلى غرفته في المستشفى .. وما أن رأته هدير حتى ارتجفت فرائصها .. ماهذه الحالة التي وصل إليها خالي .. مالت إليه تقبله .. نظر إليها بعيون دامعة ... وسرعان ما أجهش في بكاء مرير .

- فوجئت هدير بهذه الحالة ولم تعي ماذا تفعل .. ماذا ألم بخالها الذي تحبه وتعهه صديقها الصدوق وتستمع الى كلماته ومازال ت نصائح ترن صداها في أذنيها ... مالت إليه تطبطب عليه وتشجعه وهى لاتعلم مابه وماذا أصابه نظرت هدير فجأة إلى والدتها لتسألها عما صار لخالها .. ولكنها وجدت الشحوب والخوف باديان عليها.. ويبدو أنها قد فوجئت بحالته مثلها ولم تكن على علم بماوصل إليه حاله .. انتاب الأسرة حالة من الارتباك والدهشة المؤلمة ... أسرع والد هدير خارجا من الحجرة ... واتجه مباشرة إلى حجرة الأطباء ... عاد بعد دقائق معدودة داعم العينين وملامح الحزن تكسو وجهه مال على وجه جمال وطبع قبلة أبوية حانية وربت على كتفيه يطمئنه ... جلسنا قرابة ساعة نتحدث معه .. ونحاول أن نبتعد في حديثنا عن حالته الصحية التي لم ندري ماهى حتى هذه اللحظة ... غير أن نظراته لنا كانت تتحدث حديث الوداع وفقدان الأمل في الحياة وهو ما جعل الحزن يخيم علينا جميعا وسرعان ما جاء الطبيب المعالج وطلب منا الانصراف وتركه يستريح بعض الوقت فحالته الصحية لاتسمح له بهذا المجهود ومن الأفضل أن يخلد إلى الراحة خرجنا من المستشفى ولا أكاد اصدق ما شاهدته .. وهل أيام من المرض كفيلة بأن تجعل الإنسان في هذه الحالة؟ ... تعجبت كثيرا أى مرض يصل بصاحبه إلى هذا الحد من التدهور؟ .. ويبدو أن والدتي هى الأخرى كان يدور بخلدها نفس الأسئلة وقد بدا عليها الاندهاش الكامل .. وقد سمعتها تتحدث نفسها وهى تقول انه الأسبوع الماضي كان بكامل صحته وحيويته ماذا حدث له

... وبينما نحن في حيرتنا وأسئلتنا نظر والدي إلينا وبصوت بحه الحزن قال لنا الحقيقة الموجعة التي اخبره بها الأطباء .. فقد أصاب خالي مرض خطير استفحل في جسده ولم يعلن عن نفسه إلا بعد أن نهش أعضائه وتركه بقايا إنسان ينتظر النهاية ... أسقط في يدي وأصابني الخرس .. بينا لطمت أمي وجهها .. ودمعت عين أبي .. وتجهم وجه أخي حسام ... وأكملنا مشوارنا إلى البيت ... وأمى تولول .. وكل منا سارح في عالمه .. لا يجمع بيننا سوى الصمت والحزن الدفين ابتلعت الكلمات في حلقي وزاغ بصري انظر إلى لاشيء بينما السيارات تمرق سريعة حولنا .

- مرت عدة أيام من الإجازة حاولت فيها إعادة ترتيب أفكاري .. تواصلت مع بعض الصديقات القدامى وخاصة صديقتي ليلي التي زاملتني في سنين عمري المبكرة ..بحكم جوار أسرتهم لنا في السكن .. وكم قضينا معا ساعات وأياما طويلة .. وتزامننا على مر الأيام وعشنا الحياة سويا تجمعا براءة الطفولة ثم حيوية الشباب وانطلاقة .. حتى وصلنا إلى مرحلة النضج .. وهانحن تعيش كل منا في تجربة تختلف عن الأخرى ..فقد تزوجت ليلي منذ أكثر من خمس سنوات من ابن صديق للعائلة .. وأنجبت طفلين هيثم ووائل .. في الرابعة والثالثة من عمرهما الآن ... وكم استمعت إلى شكوى ليلي من زوجها "على" وانقياده لأهله خاصة والدته في كثير من الأمور حتى أنه لا يتخذ قرارا إلا بعد موافقتها .. حتى إن زواجهما لم يتم إلا بعد موافقتها واصرارها عليه .. وهو ماجعله يتم تلك الزيجة دون أن يكون له رأى فيها .. وهذا مارواه لها بعد اتمام الزواج ...وكانت شخصية زوجها المنقادة تكدر عليها حياتها .. وتقلل من قيمته في نظرها .. وهو ماجعلها تحاول أن تغير مابه وتجعل منه رجلاً يعتد به ويتخذ قراراته بعيدا عن سلطان أهله خاصة والدته .. وهوما أدركته حماتها وكان من أثره أن دببت الخلافات الشديدة بينهما .. وكالعادة كان دور زوجها سلبيا معها وأخذ صف والدته ضدها وتطور الأمر سريعا حتى كاد أن يصل إلى نقطة لارجعة فيها ... وعند هذه المرحلة نشدت ليلي السلامة وأعدت تفكيرها مرة أخرى ودخلت في هدنة مع نفسها وزوجها حتى تمر الأمور بسلام ...وكان لها ما أرادت وهدأت الامور وخرجت حماتها من تلك المعركة منتصرة فائزة بابنها تُسيره كيفما شاءت .. وارتضت ليلي الهزيمة بعد أن رفعت راية الاستسلام تاركة الأمور تسير كيفما تسير بعد إن أدركت أن الموج اعنتى من أن تقاومه ... وعاشت حياتها بعد أنجاب ابنها الأول هيثم .. ثم بعده بعام أنجبت وائل .. ويبدو أنها رضخت للحياة وأمواجها المتقلبة .. وتأقلمت مع هذه الحياة الغريبة وارتضت أن تعيش مع رجل يحمل فكر أمه .. واسقطته من حساباتها .. وبات همها مُنصباً على أولادها وتربيتهم ..ويبدو أنها نسيت حياتها الخاصة أو ربما وجدت فيهما مهربا من مشاكلها وآثرت السلامة وعاشت حياة رتيبة يعيشها أغلب المصريين ..

- تلقيت ذات مساءً إتصالا هاتفيا من ليلي ..تحدثنا في بعض الأمور واستعدنا معا بعض ذكريات الماضي .. انتهزت تلك الفرصة وعرضت عليها اللقاء والخروج سويا للتنزه بعض الوقت .. فقد كنت بحاجة للحديث مع احد تربطني به ذكريات وماضي

..وأردت العودة إلى الوراة قليلا ربما استطعت إدراك الواقع وما أنا مقدمة عليه ... وكذلك وجدتةا فرصة للهروب من جو البيت الذي خيم عليه الحزن و الاكتئاب منذ علمنا بحقيقة مرض خالي .. وأصبح من يومها مزارا للأهل والأقارب لمحاولة الاطمئنان والسؤال عن أحواله .. واحساس يتملكني بافتقاد الحديث معه والشوق الى الخلاف والاتفاق مع أرائه كما اعتدنا دائما وما أن طلبت من ليلى الخروج مساء هذا اليوم حتى أجابتنى بالموافقة دون تفكير وكأنها تتوق إلى هذا اللقاء وتلك النزهة .. ضربنا موعدا سويا ... وأخبرتني أنها حاليا عند أسرة زوجها وسوف تترك الأولاد مع جدتها وتنتظرنى بعد صلاة العشاء .. اتفقنا على اللقاء وأنهينا المكالمة .

- ركبت سيارتي واتجهت إلى المكان الذي تواعدنا على اللقاء فيه .. وجدت ليلى في انتظاري ... وكعادتها انطلقت في الحديث تستفسر عن المكان الذي سوف نقصده .. وكنت قد عزمت على استعادة أيام مضت وذكرياتةا .. أحببتها على الفور .. مارأيك أن نذهب إلى الكورنيش .. أتوق لرؤية القاهرة في أحضان النيل في المساء .. ونبتاع ذرة مشوية نلتهمها حتى النهاية كما كنا نفعل قديما ثم نحتسي الشاي ونحن جلوس على سور الكورنيش نتابع المارة ونراقب حركة السيارات ونستمع بهذا الجو الخلاب .. وربما نركب إحدى المراكب النيلية تأخذنا في نزهة نستمع فيها بنسيم النيل ونتوه مع الأغاني الشعبية التي تزخر بها تلك المراكب ... فقد اشتقت إلى تلك الحياة التي عشتها واستمتعت بها كثيرا خاصة أيام الجامعة ونحن مازلنا في مقتبل العمر والإقبال على الحياة .. ولم أدرك مذاقها إلا بعد أن تغربت وأصبحت آلاف الأميال تفصلني عنها .. ألا تتذكرين يا ليلى تلك الأيام والذكريات التي جمعتنا في مثل تلك الرحلات .. ما أسرع الأيام .. ربما مر أكثر من ثمان سنوات على آخر رحلة مماثلة قمنا بها ... نظرت إلى ليلى .. فرأيت الوجوم بادي على وجهها .. وكأنما أصيبت بخيبة أمل من تلك الرحلة ... ضحكت من ردة فعلها .. وأخبرتها أن لا تبتئس .. فسوف نذهب إلى المكان الذي تريده ونسهر كيفما شاءت ولكن بعد أن نقضي ساعة أو ساعتين في تلك الرحلة التي اشتقت إليها كثيرا .. هنا تبسمت ليلى ... وأطلقت تنهيدة عالية وكأنما كانت تحبس أنفاسها وتكتم غيظها من برنامج الرحلة الذي أعدته ويبدو أنه خيب آمالها.

- ركنت سيارتي بعيدا بعض الشيء عن مكان جلوسنا .. فالأماكن هنا مزدحمة ومن الصعوبة العثور على ركن للسيارة .. وهو ماجعلنا ندور ونلف حول أنفسنا أكثر من نصف الساعة حتى وجدنا مكانا خاليا بعد أن حالفنا الحظ وغادرته سيارة كانت تقف به .. فأسرعنا نحتله وكأننا انتصرنا في معركة طاحنة واحتللنا قطعة غالية من الأرض .. وعلينا أن نأخذ هدنة نعود بها لأنفسنا ونستريح من ويلات تلك المعركة ... ترجلنا سويا على طريق الكورنيش .. وهاهو باع الذرة المشوية أمامنا .. ذهبت إليه وابتعت "كيزان ذرة ساخنة " أخذتهم منه بعد لفهم في الاوراق الخضراء التي نزعنت من كيزان الذرة تمهيدا لشيها على الفحم المتوهج .. جلسنا سويا نلتهم الذرة على سور الكورنيش ونتحدث ونذكر ونشاهد ونعلق .

- فاجأتني ليلي بسؤال مبالغت بعد معاناتنا من الازدحام وتكدس الشوارع بالسيارات والمارة ..

- هدير .. هل تشعرين بالفرق بين الحياة في مصر .. وتلك البلد الخليجية التي سافرتي إليها .

- فكرت ملياً .. فلم أحاول سابقا عقد مقارنة بين الحياة هنا وهناك .. ولكن بعد سؤالها أدركت أن هناك اختلافات جوهرية بينهما ... نظرت إليها وقلت لها لا توجد مقارنة بين البلدين ولا يوجد وجه تشابه .

- حقيقة !!! كيف ذلك يا هدير أليست بلد عربي مثلنا .. وثقافتنا وتاريخنا مشترك .

- نعم بلد عربي .. ولكن عروبتهم تختلف عن عروبتنا .

- كيف ذلك؟ .. وهل العروبة تختلف أنها جذور واحدة .

- نعم جذور واحدة ولكن الثقافات تختلف ..

- لماذا .. وما الفرق بين نزهة كتلك .. ونزهة هناك؟

- ضحكت قليلا .. وبادرتها بالقول ..

- إن هذه البلاد تختلف عنا كثيرا .. نحن هنا نشعر في شوارعنا وبيوتنا وآثارنا بالحياة تدب في كل شيء فيها .. تكاد أن تتكلم .. تتحدث .. تصرخ .. تشعرين أن كل شيء حي ... ويمكنك أن تديرى معه حوارا .. حتى الأهرامات وأبو الهول ... تشعرين في معيتم بالحياة على الرغم من أنهم مقابر ترمز إلى الموت .. انظري إلى وجه أبو الهول ستجدينه يخاطبك ويحكى ويروي تاريخا قديما .. ويشير إلى أهراماته التي يحرسها منذ آلاف السنين ولسان حاله يقول .. العالم كله يأتي لزيارتنا .. وأمواتنا تبعث فيه روح الحياة .

إن كل شيء في مصر نابض .. حى .. أشجارها .. أراضيها .. أطفالها .. مبانيها .. نيلها الذي يروي ذكرياته ويمدنا بالحياة ويأتينا بالخيرات ... هنا الحياة يا ليلي .

- نعم يا هدير وماذا عن هناك ألا توجد حياة ؟

- بلى توجد .. ولكنها حياة مختلفة .. في تلك البلاد كل شيء فيها جديد .. بيوتها ليست بيوت .. بل بنايات شاهقة ... وفنادقها تطول السحاب .. وأبراجها تعلو للسماء ... وشوارعها متسعة نظيفة .. تسيرين فيها بسيارتك بأقصى سرعة وكأنك ترحفين على مهل .. ومطاعمها وأماكن لهوها .. الفخامة صفاتها .. والنظام والحركة محسوبة ... والإنسان هناك في عمله المكلف به يقوم به خير قيام .. لذلك لا تكادين تشعرين بالتقصير في أى مجال .. فكل شيء يسير بنظام كالساعة .. فلا تجدين طوابير ولا ازدحام .. والمعاملة هناك راقية إلى أعلى حد .. وطبيعة الحياة سهلة ميسرة .. لاتشعرين معها بصعوبة أو متاعب.

- إذا كانت هكذا الحياة ميسرة إلى أقصى درجة فلماذا يشكو البعض من الغربة ويتمنون العودة إلى وطنهم معللين بقائهم هناك لجمع المال الذي يعينهم على أيامهم القادمة في مصر ؟

- عزيزتي ليلي .. الحياة في هذا البلد على الرغم من بريقها فأنها تبدو حياة صناعية .. فالنظام في كل شيء يعطيك انطباع بالبرمجة ولا مجال أمامك لممارسة حريتك الحياتية في فعل ما يحلو لك .. تحيين كالإنسان الآلي يومك هو غدك هو أمسك لاجديد فيه .. ونحن قد اعتدنا في مصر على الحياة والحركة غير المحسوبة .. نعيش الحياة بطبيعتنا .. نفرح .. نغضب .. نتشاجر .. نتغيب عن العمل .. نلهو .. نمرح .. إننا نعيش في بلدنا حياة الإنسان بملوها ومرها .. بسلئتها وحسناتها .. ولكن هناك كل شيء صناعي .. العمل صناعي .. النزهة صناعية .. الأكل صناعي .. البد نفسها تشعرين أنها لعبة صناعية .

- كيف ذلك يا هدير وأنت تقولين أنها بلد راقية وفخمة في كل شيء؟ ...

- نعم ياليلي .. هى فخمة وباهرة في كل شيء .. حتى أشجارها وحدائقها .. ولكن يمتلكك الإحساس أن كل شيء فيها تم صناعته الآن ولا تجددين عقب التاريخ .. فالأبراج الضخمة جميعها متشابهة لاتكادين تفرقين بين هذا وذاك .. والشوارع انسيابية متسعة لاتكادين تعرفين في أى طريق تسيرين .. فكل شيء حديث .. وكل شيء تم صناعته وتكلف الكثير من الأموال حتى صار صناعة محبوكة .. والإنسان هناك يعمل ويتسوق ويلهو بطريقة صناعية مبرمجة ... هنا في مصر تشعرين بالحياة بين الأموات .. وهناك تشعرين بالموت بين الأحياء .. وماقصده هنا هو الإحساس الروحي وليس الجسدي .. فالجسد هناك يحيا حياة الحرية التي ربما نفتقدها هنا .. أو على الأقل تفتقدها شريحة كبيرة من المجتمع المصري .

- ولكن يا هدير ماذا على البرنامج اليومي والحياة اليومية التي تعيشونها ويحياها أهل هذه البلاد؟

- ألم أقل لك إن حياتهم تختلف عنا كثيرا .. حرارة الجو هناك جعلت البيوت ملاجئ دائمة لغير العاملين .. فلن تستطيعي الخروج من البيت مشيا على الأقدام في تلك الحرارة القائظة .. ولن تجدي في الشوارع سوى السيارات الفارهة تجوبها لقضاء مصالح أصحابها ... بينما العاملون في أعمالهم ومكاتبهم حتى ساعات متأخرة من النهار .. ولا يوجد متنفس للسكان سوى " المولات" فهي حياتهم التي يتنفسوها .. ففيها مأكلم ومشربهم ونزتهم .. وقضاء الوقت الضائع .. يمكنك القول إن المولات هى المتنفس الحقيقي في تلك البلاد خاصة للوافدين والعاملين من جميع الجنسيات .

- هل هذا يعنى أن الحياة هناك سيئة وردية؟

- أنا لم أقل ذلك .. فهى ليست سيئة .. وليست جميلة .. ولكنها حياة مختلفة .. هى نوع آخر من الحياة يختلف تماما عن نمط حياتنا التي نحياها .. وربما هذا التباين هو ما يشعرنا بالتمزق ويحرك داخلنا مشاعر متضاربة ... ربما يُحيي مشاعر .. ويقتل مشاعر .. ولكنه في النهاية تجربة لابد أن نعيشها ونستفيد من جوانبها سواء السلبية منها أم الايجابية ...

- ماذا تقصدين بأن هذه الحياة المختلفة تقتل مشاعر وتحيي مشاعر؟

- سوف أجيبك على هذا السؤال بالليلي ولكنه يحتاج إلى جلسة مختلفة ووقتٍ آخر ..
فعندما نتحدثين عن المشاعر .. فلا بد أن تعطيهما حقها ولا تتناوليهما وتمرين بها مرور
الكرام .

- نعم معك الحق يا هدير .. فالمشاعر والأحاسيس مقدمة على أى شيء آخر في حياة
الإنسان.

- ليلي لقد أخذنا الحديث بعيدا و لم تحدثيني عن حياتك وزوجك وحماتك .. وكيف
صارت الأمور بينكم .. فلا أعلم عن حياتك شيئا منذ أكثر من عامين ولم نتحدث سويا ...
هل أصبحت الأمور على مايرام .. أم أن كل شيء مازال على حاله ؟

- قبل أن تجيب ليلي السؤال .. رن جوال هدير بنغمته المميزة التي لم تغيرها منذ كانت
في مصر بموسيقى أغنية من إحدى روائع فيروز "دخيلك يا أمي " .. استأذنت هدير من
ليلي أن ترد على المكالمة وبعدها يستكملان حديثهما ... كان والدها هو المتحدث ... وما
أن استمعت له وتلفت مكالمته حتى تغير لون وجهها وأطلقت صرخة عالية وانتفضت
من مكانها مسرعة تجري نحوسيارتها .. وليلي تسألها عما حدث . وتجييبها إجابة مقتضبة
وهي تجهش بالبكاء .. خالي جمال توفي الآن بالمستشفى ... أخذت الإثنتان تجريان
ولاتكادان تريان الطريق أمامهما .. ذهبا سويا إلى حيث يرقد جثمان خالها ... وجدت
الكثير من الأهل والأقارب قد سبقوها ... والجميع في حالة بكاء ونحيب .. يحتضنها
والدها والدموع تملأ عينيه ... يربت على ظهرها .. وبعد أن تستوعب الصدمة قليلاً ..
تطلب من الأطباء رؤية وجه خالها قبل نقل الجثمان إلى ثلاجة المستشفى تمهيدا لدفنه
بعد ظهر الغد ... وما أن تدخل الغرفة وترى وجهه وصفار الموت يلونه .. وشحوب
ملاحه وعينيه المغلقتان .. حتى ترتمي على جسده تقبل وجهه وتجهش في بكاء مرير ..
لاتفيق منه إلا بعد أن أمتدت الأيدي إليها تسحبها خارج الغرفة والبعض يحاول مسح
دموعها المنهمرة .

- شيعنا جثمان خالي إلى مثواه الأخير .. وعُدنا أدرجنا إلى البيت .. تحول بيتنا إلى
سرادق كبير للعزاء .. فقد كانت والدتي هي الشقيقة الكبرى لإخوتها وهي بمثابة الأم
لهم جميعا .. لذا فقد تحول الجميع إلى بيتنا لتقديم واجب العزاء ومواساة أمي في مصابها
الجليل .. ورويدا رويدا انصرف الجميع إلى حياته عدا بعض الأهل المقربين الذين كانوا
على اتصال دائم بوالدتي وتكررت زياراتهم أكثر من مرة .. أصاب والدتي الإجهاد
ووصل بها الإرهاق والتعب أشده حتى شحب لونها ووهن جسدها وخشينا عليها من
التعرض لو عكة نفسية أو جسدية ما دفعنا لمحاولة التخفيف عنها قدر المستطاع وتوصية
الزائرين بعدم تجديد أحزانها وتذكيرها بالمرحوم والمغلاة في التعبير عن أحزانهم .
- التزمت حجرتي خلال تلك الفترة ... واجتاحتني سحابة سوداء من الحزن والاكتئاب
.. وطاف بذاكرتي الكثير من أقوال وأحاديث خالي جمال .. ونصائحه الكثيرة وخوفه
الشديد على ... شعرت أنني فقدت جزءاً مني ... ودفنت معه يوم أن دفن أشياء كثيرة ..
وواريت التراب عهدا مضى أظنني لن أتخلص من توابعه لمدة طويلة .. وربما العمر
كله .

- ساد الصمت القاتل في البيت .. تلتقي أعيننا ونتوارى بعيدا عن بعضنا البعض .. وضاع الكلام بيننا ولم نجد شيئا يجمعنا سوى الحزن والبكاء .. حتى أخي الصغير حسام هجر البيت خلال تلك الفترة وعمد البقاء مع أصدقاءه معظم الأوقات ولم اعد أراه إلا في وقت نومه ... و تكورت أمي على نفسها وبات يومها بكاء أو حديثا حزينا مع أحد من الأقارب عن خالي ومرضه وموته الخاطف و فجيعتها فيه وثقل الأيام من بعده وانشغل أبي مع المواسين والزائرين .. وأصبحت السجارة لاتفارق فمه .. والقهوة رفيقة دربه .. وماعدت أجدّه أو اتحدث إليه وقد بدا وكأنه تجاوز عمره بسنين كثيرة .

- كادت الإجازة أن تنتهي وأعود إدراجي إلى السفر والعمل مرة أخرى ... اختليت بنفسي كثيرا وهالني شعور الغربة الذي تملكني وأنا بين أسرتي وأهلي .. فلم أعد اشعر بالرباط الذي كان يجمعنا .. فها أنا أجلس وحدي .. أفكر وحدي .. لا أجد لي شريكا .. ولا أنيسا يونس وحدتي .. فقد ابتعدنا عن بعضنا البعض .. وصار كل منا في وادي بعيدا عن الآخر ... ربما كان للسفر والبعاد أثر في ذلك .. أو ربما تغيّرت أكثر من اللازم ولم اعد هدير التي كانت معهم منذ عام بعد أن عشت تجارب خلخلت توازني وأفقدتني الكثير وأضافت الكثير .. ولكن اشد ماهزني وأربكني في ذات الوقت هذا الإحساس المتبدل تجاه الموت فقد وارىت خالي التراب وزرت المقابر ... فلم يقشعر بدني كما كان يحدث سابقا.. ولم اهتز للموت .. ربما حزنت على فراق خالي ... وأصابني الوجوم واليأس بعض الوقت ولكن لم ارهب الموت ... ولم يترك أثره بي ولم يخشع قلبي له بل حتى لم أتوب عن المعاصي التي ارتكبتها ... الموت ترك داخلي تحديا كبيرا ... وشعرت بالبركان يثور ويهتز ويلززل كياني ... امتلك قوة تحدي تجعلني اواجه العالم بأكمله وانطلق بعيدا عن كل شيء ... الموت لم يهزني .. ولم يهزمني .. بل زادني قسوة وتمردا ... وولد صراعا عنيفا بداخلي ... لن أخاف شيئا بعد اليوم ... ولن اعمل لشيء حساب ... فلاشيء يستحق أن نهايه ... ولا شيء يمكنه السيطرة علينا وتحويلنا إلى عبيد لهكم أتوق إلى الرحيل ... وترك هذا العالم خلفي .. فقد تاقت روحي للانطلاق والتخلص من تلك الشوائب التي شابتها وعلقت بها أشعر أن تلك الأرض ليست أرضي ... وتلك الحياة ليست حياتي ...حياتي هناك .. وحرיתי هناك ... وسوف الحق بهما بعد عدة أيام ... هلم أيتها الإجازة انتهي وانهي أيامنا هنا .. فلم أعد قدرة على الاستمرار .. والتمزق يفسخ أركان نفسي .. ويُقطع جوانبها .

- تمضي الأيام القليلة المتبقية من الإجازة ببطيء شديد ... ويجيء يوم المغادرة ... أودع الجميع ... واركب الطائرة ..ترتفع بي في السماء .. وتنطلق معها روحي محلقة تسابقها وترفرف بأجنحة الخلاص .. انظر إلى الأرض والبيوت والناس .. وكأنها ثقوب صغيرة تظل تتضاءل حتى تختفي تماما ... وكأنها لاشيء أو لم تكن شيئا ... يزوغ بصري خارج قمره الطائرة بينما تخترق ركام السحاب وترتفع إلى أعلى وأنظر إلى رهبة السماء واتساعها .. يسرح خيالي في هذا الكون العظيم .. السموات والأرضون .. ومجراته ومدراته ... ونجومه وشموسه وملايين البشر الذين اختفوا تماما تحت

الطائرة وكأن ليس لهم وجود أين هم من هذا الكون الفسيح .. وماذا يكون الإنسان حتى تخلق له كل هذه العوالم ... عدة كيلو مترات ارتفاعاً أخفته تماماً هو وأرضه ... لا لا ... ليس الإنسان هو المنوط من خلق هذا العالم ... فالموت يغيبه .. والحياة أيضاً تغيبه .. وعمره قصير وهذا الكون وملايينه من السنين .. وأبعاده وأعماقه ورهبة تسكنه أننا مغيبون .. فنحن لسنا السادة .. ولم تخلق لنا هذه الأفلاك .. فما نحن إلا مُكون صغير من مكونات هذا الخلق ... وما يحركنا غير بعض المشاعر والأحاسيس ... ويأتي الموت يسرق منا كل شيء .. بل يسرقنا نحن من أنفسنا ومن أهلينا .. ويسرق هذا العالم منايا الله .. لقد ازددت تمزقاً ... حاولت استعادة نفسي في إجازة سريعة .. فزادتنى بعداً عن ذاتي .. وألقت بي في برائن المجهول ... ليبتني استطيع إيجاد نفسي ... ومعرفة طريقي وتحديد هدفي .. لقد أتيت من الضياع وها أنا ذاهبة إلى الضياع .
- لأدري كم من الوقت مضى وأنا في هذه الحالة من الوعي أو اللاوعي .. أفقت على صوت كابتن الطائرة يحمد الله ويبشرنا بسلامة الوصول و يطلب من الجميع ربط الأحزمة استعداداً للهبوط .

"الفصل السادس "

عدت إلى عملي بعد انتهاء الإجازة التي لم أسعد بها ولم تضيف لي شيئاً .. بل أخذت مني الكثير .. فما أنا أفقد خالي سندي وأنيسي في الحياة ... ولم يتبق منه سوى بعض الذكريات تطوف بخيالي مع نصائحه التي اندثرت وبانت بقايا كلمات ليس لها معني ... وفقدت جزءاً كبيراً من هدير .. وتركته للأبد وها أنذا هدير أخرى غير التي كنتها قديماً والتي حاولت المحافظة على البقية الباقية منها ... عدت وبداخلي تصميم على ترك الماضي وراء ظهري والعيش بالطريقة التي أبغيها وأسعى إليها .. اطلقت لنفسي العنان للانطلاق بكامل طاقتي في سهراتنا الماجنة مع ساندرنا ولارا نقضي في الملاهي الليلية أوقات إجازتنا نلهو ونرقص ونفعل مايلو لنا .. واستبدلت عصير البرتقال بعلب البيرة الثلجة ولم يعينني كثيراً احتوائها على كحوليات من عدمه .. وكم من مرة تذوقت فيها الخمر ولكن لم استسغ طعمها .. وهذا لم يمنعني عنها تماماً بل أدرجتها في خطتي بالمرحلة القادمة .. فقد سعيت للانتقال إلى المرحلة الجديدة بشيء من الحذر والتروي فلم أشأ فقدان نفسي وإلقاءها إلى الضياع .. فقد أردت الحياة الحرة لاستمتع بها وأنا متماسكة ملمة بالأمور .

- حاول أسامة خلال تلك الفترة إعادة علاقتنا لسابق عهدنا مرة أخرى . وقد وافقته مرة أو اثنتين على لقاءنا المعتاد .. غير أنني بدأت أضيق به وبحديثه وبلغ مني الضجر منتهاه ... فلم يكن ذلك الشخص الذي أحلم به وأجد نفسي في وجوده ... لذلك عمدت أكثر من مرة عدم تلبية دعوته والاستجابة لطلبه .. ويبدو أن هذا الأمر قد أزعجه كثيراً حيث أنه اعتاد وجودي في حياته ومع معاملتي الجافة له بدأ يشعر أنني أضيع منه وأتسررب من بين يديه ... وكم كانت مفاجأة غريبة عندما لمحتته في إحدى سهراتنا في أحد الملاهي الليلية جالسا في ركن بعيد حتى لا أراه أو ألحظه .. غير أنني لمحتته في اللحظات الأخيرة ونحن نغادر المكان بعد منتصف الليل بأكثر من ساعتين .. وما أثار دهشتي علمي انه ليس من رواد تلك الأماكن .. ولم يخطر له على بال يوماً السهر بها .. حتى عندما تحدثنا يوماً وطلبت منه السهر معنا في أحد هذه النوادي انتصب واقفا كمن لدغه عقرب رافضاً تماماً هذا الاقتراح .. وأدركت على الفور أنني تجاوزت معه الحديث .. فنهايته تقف عند التنزه في ردهات وطوابق المول .. أي مول يقطعه ذهاباً وإياباً حتى تبلى قدميه ويزيغ

بصره على الفتيات والنساء الكاسيات العاريات .. فقد اعتاد على دور المتفرج ويخشى النزول إلى الملعب لخوض التجربة ... لذلك كانت المفاجأة كبيرة عندما شاهدته يجلس وبيده مشروب أظنه عصير البرتقال .

- انقطع أسامة عن زيارة المول مدة جاوزت الشهر ..أوربما كان يحضر ولا يمر أمام المتجر الذي أعمل به أو يأتي لزيارتي .. وخلال تلك المدة أصبحت من رواد تلك الملاهي بل من زبائنها الدائمين .. أدمنت تدخين السجائر والشيشة ..ورويدا رويدا تناولت المشروبات الكحولية ... وتنقلت مع ساندرأ ولارا من نادي ليلي إلى نادي آخر .. نستمتع إلى الفرق الغنائية بمختلف ثقافتها ولهجاتها ...ونستمتع بوصلات الرقص الشرقي والغربي ...أجدت فنون الرقص وكنت اقضي الساعات الطوال في صالات الديسكو ألهو وأرقص مع صديقتي ... أطلقت لنفسي العنان افعل مايلو لي دون ابتذال أوارتكاب خطيئة .. فقط حاولت أن أعيش الحياة وأحفظ نفسي من السقوط على الرغم من تلك الأجواء الفاسدة التي من شأنها أن تجرف معها كل من يقف على شاطئها ... فالنوادي تعج ببنات الليل وممارساتهن الفاضحة والمكشوفة في اصطياد الرواد بحركات خليعة وعيون جريئة ... وكم ضحكنا أنا وساندرأ على الكثير من المواقف التي تحدث أمامنا ..واحيانا نتبادل الغمز والهمز ونحن نتابع إحدى المحترفات من الفتيات وهي تلقي شباكها على أحد الشباب ثم تسحبه من يديه خارج الملهى وكم من مرة ظن بعض الزبائن إننا من هؤلاء الساقطات وحاولوا مساومتنا وعقد اتفاق معنا مثلما يحدث مع غيرنا في بداية الأمر أصبت بصدمة وانفعلت وكدت اخرج عن شعوري .. ومع الأيام عندما فكرت في الأمر ملياً هدأت نفسي بعض الشيء .. فهذه الأماكن يختلط فيها الحابل بالنابل فهناك من جاء يسهر سهرة بريئة يستمتع فيها بالطرب والرقص .. ومنهم من جاء قاصدا صيدا يوقعه ويفوز به ... مع الأيام أدركت تلك الحقيقة ولم تعد تلك التصرفات تثير غضبي أو تستفزني بل على العكس أصبحنا ثلاثتنا نتندر بها ونطلق النكات .. بل أحيانا تأخذنا الحسرة على احد الشباب ونتهكم على خسارتنا وتركه لغيرنا من الفتيات الخليعات للفوز به .. ونتبادل الضحكات والتعليقات المتحفظة أحيانا والمتحررة في أكثر الأحيان .

- دارت الأيام وهذا حالنا حتى فاجأني أسامة يوماً قبل انتهاء العمل بساعات بطلب التحدث معي في أمر هام ... نظرت إليه نظرة ذات مغزى وطالبته بقول ما عنده بنظرة منكسرة راجية أعاد طلبه بضرورة التحدث معا لدقائق قليلة وبعدها سوف يذهب

- لم أرغب أن يجمعنا مكان نجلس فيه بمفردنا .. طلبت منه الانتظار بعد انتهاء العمل على الكورنيش فهناك يمكننا الحديث بحرية وطرح ما عنده .
- ماذا تريد قوله يا أسامة ؟

- هدير .. لن أطيل معك الحديث .. فنحن نعرف بعضنا البعض جيدا .. ولن أسرد مقدمات .. فقط اعرض عليك الزواج .. وأريد أن تفكري في هذا الطلب جيدا ... فقد اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل وأريد رذك عليه ...

- أطلت النظر في عينيه ... ولم أجد كلمات أرد بها .. هذا الطلب مفاجأة كاملة .. ولم أتوقعه اطلاقا .. ولم أكن قد أعددت نفسي للرد على شيء كهذا .

- لماذا تنظرين إلي هدير .. أليس عندك ماتقولينه .

- لا يا أسامة ليس الأمر هكذا ولكني أحاول استيعاب حديثك .. فلم أفكر يوما في هذا العرض بطلب الزواج .

- ولكن ها أنا اطلبه منك .. فما هو قرارك .

- سأطلب منك الإجابة على بعض الأسئلة أولاً يا أسامة .

- نعم هدير اسألي وسوف أجيبك على أسئلتك .

- ما الذي جاء بك إلى الملهى الليلي منذ عدة أسابيع .. ولماذا لم تتحدث معي وأنت تعلم بوجودي هناك ؟

- عندما رأيتك تتغيرين في علاقتك معي وتحاولين الابتعاد ... تحدثت مع صديقتك لارا ... فقد ظننت أن في حياتك إنسان آخر .. وانه السبب في هذا التغير .. أردت التأكد من ذلك .. ولكن لارا نفت تماما وجود أى شخص في حياتك .. وعندها سألتها عن أماكن السهر التي تقضون بها أوقاتكم .. أجابتنى بعنوان ذلك الملهى فذهبت لمحاولة التأكد من حديثها بنفسى ... وليكن في علمك لم تكن المرة التي شاهدتيني بها هى الأولى .. فقد ذهبت هناك مرارا وتكرارا ... وعمدت في المرات التالية أخذ الحذر تماما حتى لاتشاهدني واستطيع متابعتك بحرية .. وقد ساعدتني الإضاءة الخافتة في تلك الأماكن أن انزوي بعيدا عن جلساتكم .

- هل هذا يعني انك كنت تراقب تصرفاتي دون علمي؟

- ليس بهذا المعنى هدير ... فقط كنت أحاول استيعاب حياتك الجديدة ومعرفة سبب هجرانك وتغييرك المفاجيء من ناحيتي .

- أسامة ... لن أعاتبك على هذا التصرف .. ولن ابدي غضبا ... ولكن لماذا جئت تطلب الزواج .. بعد أن كان بيننا ماكان ؟

- لقد أحببتك هدير .. أحببتك وأدركت أن حياتي لن تستقيم بدونك لقد رأيت الدنيا بعينيك ... وتعلمت الحب على يديك ... وأدركت الحياة معك أحببتك وأريد أن احتفظ بك ... لا أطيق هجرانك وبعادك .. أو مجرد التفكير في فقدانك وضياعك مني بعدما لاحظته في الأيام السابقة .. انك تتفلتين من بين يدي .. وتحاولين الفرار من حياتي والانطلاق بعيدا عني.

- اسمع أسامة .. لقد جمعتنا ظروف متشابهة ... وعشنا معا أياما سعيدة ... ولكنك لو فكرت جيدا ستجد أننا مختلفان عن بعضنا البعض .. ولا يوجد شيء يربط بيننا سوى تلك العلاقة التي جمعتنا سويا ... نحن أصدقاء ... ولم افكر فيك قبل ذلك بخلاف هذا الوصف ... الحب عندي له مقومات أخرى ... وكما تعلم قد خضت تجربة الزواج قبل

ذلك وفشلت فيها .. ولا أريد إعادة التجربة خاصة بعد أن نضجت وأصبحت أعي حقيقة الأمور ... و إذا كانت قلة الخبرة وحادثة العمر يشفعان لي في فشل الزيجة الأولى .. فلن يشفع لي شيء إذا تكرر هذا الفشل دعك يا أسامة من حديث الزواج .. فنحن أصدقاء اعتر بصدافتك ... ولا تفكر في هذا الأمر مرة أخرى .

- هدير .. أمر بهذه الجدية والأهمية يحتاج منك إلى التفكير بروية وإعادة تقييم الموقف واتخاذ القرار .

- عليك أن تعلم يا أسامة أن قراري في هذا الأمر محسوم تماما ولن يغيره أى شيء .. والامر لايتعلق بشخصك .. ولكنه مبدأ اخذته وسأحافظ عليه .

- هل هذا يعني نسيان هذا الموضوع تماما أم أنه ربما يكون له رجعة ؟

- لا يا أسامة ... انساه تماما ولا تفكر فيه مرة أخرى .

- أطرق أسامة برأسه نحو الأرض ووضع كفيه على وجهه .. وفكر ملياً.. وقال لها بصوت خافت .

- هدير وماذا عن علاقتنا وایامنا القادمة ؟

- اترك كل شيء لوقته فلانريد أن نسبق الأحداث ونتحدث في أمور لم تحسم بعد

- قالت هدير قولتها تلك وانتصبت واقفة منهية هذا النقاش بعدما أدركت أنها قد وصلت لنهايته ولا داعي للحديث أكثر من ذلك أقلت التحية على أسامة وانصرفت نحو

سيارتها وتركنه جالسا وحيدا على احد الكراسي الخشبية المتواجدة على رصيف الكورنيش ... وقبل أن تركب سيارتها .. نادى عليها أسامة .. صارخاً... إن كان الأمر هكذا فاحذري الطريق الذي تسيرين فيه فإنه سوف يأخذك للهلاك .

- لم تعي هدير تماما قصد أسامة .. ركبت سيارتها وانطلقت مسرعة إلى البيت لاتلوي على شيء ولا تريد أن تتذكر شيء .

- استمر الحال بهدير على النسق الجديد الذي اختارته لحياتها .. وانصرفت بكامل

طاقتها إلى حياة الحرية التي تنشدها .. أقلت وراء ظهرها تماما حياتها الماضية .. بل

سعت إلى التخلص من كل شيء يذكرها بتلك الحياة ... أصبحت لاتفارق صديقتيها

ساندرا ولارا بعد أن تلاقى أفكارهن المتحررة ولاقت هوى في نفسها .. ووجدت فيهما

ضالتهما المنشودة .. ارتمت في أحضانها وباتوا لايفترقن .. طوال اليوم في عملهن في

المول .. وسهراتهن سويا في الإجازات ... يرقصن ويلهون ويضربن عرض الحائط

بكل ماسوى ذلك .. بينما صديقتها عابدة التي كان لها الفضل في حضورها إلى هنا

وكانت الصديقة المقربة إليها .. باعدت بينهما الأفكار .. وانشغلت هدير بحياتها الجديدة

.. فابتعدت عن زيارتها وباعدت الأيام بين لقاءاتهما .. وشح السؤال عنها ... إلا من

بعض الاتصالات المتباعدة حفاظا على ماء الوجه وحتى لاتتهم بنكران الجميل ... ظل

هكذا الحال حتى جاء يوم اتصلت عابدة بهدير وطلبت مقابلتها والجلوس معها لمناقشتها

في أمر هام ... أجابتها هدير بإمكانية مشاهدتها فترة الغذاء في مطعم المول .. ولكن

عابدة طلبت منها أن يكون اللقاء بعد مواعيد العمل .. ومن الأفضل أن يكون عندها في

شقتها حتى يمكنهما الحديث بحرية.

- توجست من هذا اللقاء .. وتساءلت مع نفسي ما الذي دعا عايدة إلى طلب اللقاء وبهذه الطريقة ... هل حدث مكروه لأحد من أفراد أسرتي وتريد إبلاغي بطريقة ما ... أم انه وصلها شيء عن حياتي الجديدة تريد أن تحدثني به ... أو ربما بلغ والدها شكوى من صاحب العمل في شيء ربما أكون قصرت فيه دون قصد .. فالعقد الذي أبرمته للعمل في المول كان تحت إشراف والدها وهو الذي سعى فيه لمعرفته بالقائمين على التوظيف في هذا المكان .

- أخذت الأفكار تتسارع في رأس هدير حتى كادت أن تعيها ... وأخيرا ارجأت الأمور حتى تنتهي من عملها وتقابلها لتعلم منها كل شيء .

- التقت الصديقتان في شقة هدير ... فاجأتها عايدة بسؤال مباغت عن أماكن السهر الذي اعتادت قضاء إجازاتها بها مؤخرا ... بدت الدهشة على وجه هدير .. وبابتسامة خافتة أجابت ..

- ماذا تقصدين يا عايدة بسؤالك هذا ؟

- لم أقصد شيء .. فقط أردت التأكد من صدق الأخبار التي وصلتني .

- أي أخبار تقصدين .. ومن الذي أوصلها لك .. أرجوا مصارحتي يا عايدة فالأمر يخصني ويهمني .

- نعم يا هدير .. وأنا ماجئت هنا إلا لمصارحتك والتحدث معك لأن أمرك يهمني ولا أبغي سوى صالحك ... نحن أصدقاء طفولة ورأيت مكاشفتك بماعرفته .. خشية أن تصل تلك الأخبار لوالدي ووالدتي فيكون لهما شأن آخر .
- ماذا تقصدين بالشأن الآخر؟ .. أخبار أسرتي في القاهرة .. أم ماذا تعنين بقولك هذا !!

- لا لم أقصد هذا ولكنك تعرفين عاداتنا الشرقية ... ونحن مازلنا متمسكين بتلك العادات حتى أنني لم أخلع الحجاب عن رأسي ولا أمي كذلك .. على الرغم من وجودنا هنا منذ أمدا طويل ... وخشيت إن بلغهم أمر سهراتك في الملاهي الليلية واختلاطك بالفتيات المتحررات والساقطات .. يكون لهم رأى آخر في صداقتنا واهتمامهما بوجودك في حياتنا .

- بداية أريد معرفة من الذي أبلغك بتلك الأخبار .

- وهل في هذا أهمية لك ؟

- نعم الأمر هام جدا لإدراك الهدف من وراء ذلك .

- إنه صديق لك اسمه أسامة .. ابلغني منذ يومين برفضك الزواج منه .. وهو يخشى عليك نهاية هذا الطريق الذي تسلكينه ... وأراد أن يستعين بي في التحدث معك ومحاولة إثناءك عن الاستمرار في تلك الأفعال والسهرات الماجنة لذلك أخذ على عاتقه إخباري ببعض الأمور التي لاحظها عليك في الأونة الأخيرة و يخشى أن تسوقك إلى طريق لا يحمده عقباه .

- أحمرت وجنتي هدير من الغضب وارتفع صوتها صائحة .. كيف يجرؤ أسامه على هذا الفعل ... ماشأنه بي .. رفضت طلب زواجه .. فليبتعد عني .. ماذا يضيره أن اسهر هنا أو هناك .. أنها أمور لاتخصه.

- اهديني يا هدير لقد أخذته شرقيته وغيرته على بنت بلده .. ولم يرد سوى الخير لك وتبصيرك بما أنت مقدمة عليه .. ولم يجد أمامه احدا سواي ليحدثني بذلك .. لمعرفة علاقة الصداقة التي تربط بيننا .

- اسمعيني جيدا عايده .. نحن أصدقاء منذ زمن .. وأكن لك كل الحب والتقدير .. وانتم أهل لي هنا .. ولكني لم ارتكب جرما .. ولم افعل شيئا اخجل منه أو أخشي انكشافه .. هذه حياتي قد اخترتها ووجدت نفسي بها ... وسوف أسير عليها واستمر على منوالها ... أنا لا أتدخل في حياة أحد .. ولم أطالب أحدا بتغيير حياته .. فكل منا له وجهة نظره ... و رؤيته للأشياء .. وله أن يحيا حياته ويعيشها كيفما يشاء .

- هل هذا يعنى رفضك للنصيحة .. والمطالبة بعدم التدخل في حياتك؟

- لقد قلت نصيحتك واستمعت إليها .. وأجبتك أنى مقتنعة بحياتي تلك .. ولن أغيرها .. فحياتي تروق لي هكذا .

- أحذري يا هدير هذا الطريق الذي تسيرين فيه .. نهايته مأساوية ولن تجني منه الخير أبدا .

- لا عليك عايده .. أنا ناضجة بما يكفي للمحافظة على نفسي ومعرفة الطريق الذي أبغيه والهدف الذي انشده .

- هدير .. لا يملكك العناد وتنساقى وراء أهوائك .. استمعي إلى من يحبونك ويخافون عليك .

- أشكركم جميعا وأقدر تعبك من أجلي .. ولكن لكل إنسان حياته التي يختارها .. ويحاول ان يعيشها بالطريقة التي تستهويه .

- هل هذا آخر حديثك هدير ؟ .. ولماذا لاتعطي نفسك وقتا للتفكير ومحاولة إعادة ترتيب حياتك وأولوياتك .

- ما عندي قلته يا عايده .. ولن أتحدث بشيء وافعل ما يغييره .. لن انافق نفسي .. أو اقبل قيودا جديدة تضاف على الاغلال التي احاول التخلص من أثارها .. فقد نزعت قيودي ولن استبدلها بأغلال أخرى تدمي معصمي .

- انتصبت عايده واقفة وأمسكت حقيبتها في يدها .. ونظرت نظرة طويلة إلى هدير .. وغادرتها بسرعة دون أن تلقي عليها التحية .. أدركت هدير إن علاقتها بعايده قد انقطعت ولن تعود ثانية .. وكم تعجبت لحالها لشعورها بارتياح شديد وكأنها انتزعت قيودا آخر كان يكبلها وبانتت قاب قوسين أو أدنى من التحرر من جميع قيودها .. وبينما هي في زمرة غضبها أمسكت الجوال واتصلت بأسامة .. وما أن أجابها .. حتى انهالت عليه توبيخا وزجرا بكلمات قاطعة جارحة .. ولم تعطه الفرصة للدفاع عن نفسه أو رد اتهاماتها .. وسرعان أن عاجلته بطلب مباغت بنسيان ماكان بينهما .. بل ونسيانها

واخراجها من حياته وعدم محاولة التعرض لها أو الاتصال بها ثانية .. واخبرته أن هذه
المكالمة هي آخر مايبينما ..وأغلقت الجوال .
- ألقت هدير بنفسها على الأريكة بجوار السرير .. وتنهدت تنهيدة عميقة .. وألقت
برأسها للوراء وأغمضت عينيها وتنفست الصعداء .. وكأنما أزلت عن كاهلها حملا
ثقيلًا وتخلصت من جميع قيودها وباتت حرة طليقة

انطلقت في حياتي أعيشها بحرية كاملة .. لا قيود تقيدني .. ولا نصيحة تحد من جموعي .. تلك هي الحياة التي كنت انشدها .. وها أنا أفوز بها .. أعدت ترتيب حياتي بعد أن تخلصت من قيد عايده وأسرتها .. وكذلك محاصرة أسامة التي كانت تكبلني .. وتوطدت صداقتي مع لارا وساندرا وتشابكت حتى كدنا لانفترق ولانخفي سرا عن بعضنا البعض .. استمرت سهراتنا معا .. وأضفنا إليها بعض الرحلات الداخلية التي خططنا لها وضربنا لها مواعيد لتغيير رتم الحياة التي نعيشها واعطائها نكهة مختلفة بعض الشيء وكسر الروتين الذي اعتدناه ... مضى ما يزيد عن خمسة أشهر منذ عودتي من الإجازة ... كان أسامة قد اختفى تماما من حياتي بعد المكالمة العاصفة التي انهيت بها علاقتنا وصداقتنا .. ولا أنكر أن ابتعاد أسامة وخروجه من حياتي ترك نوعا من الفراغ .. ليس فراغ حب أو عشق .. فلم أحبه يوما أو أبادلته عاطفة .. فقد كان مجرد أداة أتم ما أردته منه وانتهى دوره ... ولكن الفراغ الذي قصدته فراغا من نوع آخر .. فقد اشتقت إلى الرجل في حياتي .. ولكن هذه المرة اشتقت إلى الرجل بعواطفه وحبه واشواقه ... اشتقت إلى رجل يملأ حياتي .. أشعر معه بروعة الحب ولهفة اللقاء .. ينطلق خيالنا نسبح فوق السحاب ونغوص سويا في اعماق البحار ... نسهر على ضوء الشموع .. نرقص على النغمات والألحان ... نحترق في جحيم القبلات .. ننصهر في بوتقة الاشواق ولكن كيف لي بتحقيق هذا الهدف ؟

ربما اشتعل هذا الخاطر في رأسي بعدما رأيت تلك النظرات الحانية الخاطفة من ذلك الشاب المصري الذي اعتدت رؤيته في الملهى الليلي الذي نقضي فيه سهراتنا في أمسيات الإجازات الاسبوعية .. ألمحة دائما في مجلسه يتوسط شابين يجلسان بجواره .. يتبادلون الحديث بينهم بصوت خافت ... يتناولون مشروب البيرة ويستمعون للفرقة الموسيقية .. وفي تقديري أن هذا الرجل قد تجاوز الأربعين من عمره بقليل .. وقد وجدته يتفاعل مع الفرقة الغنائية ويقوم بتأدية بعض الحركات الراقصة بطريقة عفوية كنت أضحك لها كثيرا .. ثم يجلس ثانية .. يستكمل شراب البيرة .. ويستمر في حديثه مع أصدقائه حتى نهاية السهرة .. ضبطته عدة مرات يختلس النظرات نحوي وعندما يلمحني يدير وجهه إلى ناحية أخرى ويتعمد الانشغال في الحديث أو في أى شىء آخر ... شدني إليه ذلك الغموض الذي يحيط به .. ولكونهم مصريين انتابني ذلك الشعور الذي يأخذك إلى أهل بلدك في الغربة ويجعل احساسا بالدفء يعتريك بالقرب منهم ... فالحنين عنوان يأخذك في الغربة إلى كل من يحمل جنسيتك ... ويجعل المسافات بينكم قصيرة تملؤها الاشواق والمحبة.

- مضي على وجود هذه الصحبة من المصريين في الملهى الليلي الذي نرتاده أكثر من شهرين .. اعتدت رؤيتهم والأنس بوجودهم ... ولكننا لم نتبادل معا أي حديث حتى ولو بالإشارات ... حاولت كثيرا نسيان أمرهم .. خاصة هذا الشاب الذي أجدني مشدودة إليه

... وأفكر في الأمر بواقعية أكثر.. فهم مجرد زبائن اعتادوا السهر مثلنا ولهم حياتهم ولنا حياتنا .. وسرعان ما يذهب كل منا الى حاله .

- عدت مجددا الى التفكير في حياتي التي ينقصها الرجل ... فقد كان أسامة يسد هذه الثغرة .. ولكن الآن ماذا أفعل .. هل أتحدث مع لارا أو ساندرنا في هذا الأمر .. على الرغم من صداقتنا الحميمة وتقاربنا الشديد .. لكنني أجد حرجاً شديداً في التحدث معهما في أمور خاصة كهذه .. حتى أمورهم الخاصة لم أحاول يوماً التعرض لها أو سؤالهما عنها .. هناك دائماً منطقة حمراء أجد في نفسي حاجزاً أن أعبرها أو أقرب منها .. لذلك أخذت القرار بمحاولة حل مشكلتي بعيداً عنهما وعدم اشراكهما في هذا الأمر حتى يظل هناك سر خاص بي امتلكه وحدي ولا يكون محلاً للنقاش والثرثرة .

زاد اهتمامي بمتابعة الرجال والشباب في الملاهي الليلية التي نسهر بها .. وكنت أرى نظراتهم الجائعة للفتيات والنساء .. وكم من مرة كنت محط تلك الأنظار ورأيت تلهف أصحابها على محاولة الحديث معي والتقرب لى ... وكنت على يقين أن الكثير من رواد تلك الملاهي يتمنى ويسعى للفوز بليلة بقضيتها معي .. وهذا ما علمته من بعض فتيات الهوى المنتشرات في تلك الأماكن ممن يبعن أنفسهن مقابل قضاء السهرات الماجنة مع هؤلاء المتعطشين للنساء .. وكنت أخذ هذا الحديث على محمل الهزار واضحك له كثيراً ولم اعره يوماً اهتماماً ... ولكن هذه الايام اختلفت رؤيتي لهذا الأمر وبدأت أفكر فيه بطريقة مختلفة .. لقد عشت تلك التجربة مع أسامة وأدخلته حياتي وهو غريب عني لا اعرفه ولا يكاد يعرفني .. فما الفارق أن أعيشها مع واحد من هؤلاء الشباب .. ما الفارق بين هذا وذاك فجميعهم رجال وجميعهم غرباء عني ... لن أبيع نفسي بالمال كما تفعل الأخريات .. ولكن سأختار الرجل الذي أريده واقضي معه ليلة ويذهب كل إلى حاله دون عرض نفسي في هذا السوق الرخيص .. فقط أمارس حريتي وأشبع رغبة لا أريد أن أكون أسيرة لها تتملكني وتذهب بي بعيداً عن حياة الحرية التي حصلت عليها .. وربما وجدت في أحد هؤلاء الرجال ضالتي المنشودة .. إذاً فليكن هذا هو الحل .. ومادمت قد اهتديت الى تلك الوسيلة فيجب أخذ الحيطة جيداً وأمارس تلك التجربة في احد الفنادق البعيدة عن أماكن سهراتنا حتى لا يذاع صيتي بين فتيات الهوى وأصبح واحدة من هذا الطابور الطويل الذي يقف ينتظر دوره كل مساء ... لمعت الفكرة في رأسي .. رأيتها مناسبة لحياتي .. وراقت لي .. عمدت الى تنفيذها بعد أن اخترت تماماً وباتت جاهزة للتنفيذ .

- انقضى منتصف الليل في إحدى سهراتنا استأذنت ساندرنا ولارا بالمغادرة بحجة شعوري بالصداع وحاجتي إلى الراحة .. انطلقت بمفردي إلى ملهى آخر في فندق يبعد قليلاً عن الفنادق التي اعتدنا السهر بها ... كنا قد قضينا في هذا الملهى إحدى سهراتنا منذ فترة بعيدة ولكنه لم يروق لنا فعزمنا عدم ارتياده مرة أخرى .. غير أنه اليوم أتيت بمفردي لغرض يختلف تماماً عن السهر البريء الذي اعتدناه ... وما أن حطت قدمي أرض الفندق حتى شعرت بالعيون تكاد تخترق جسدي و تعري ماتبقى من ملابس كاشفة كنت قد ارتديتها عامدة في هذا اليوم الذي أعددت له عدته وذلك بعد أن خلعت المعطف

الطويل الذي كنت التحف به ... اتجهت مباشرة إلى "البار" وطلبت كأسا من الشمبانيا .. أشعلت سيجارة ووضعت ساقا فوق ساق .. وتركت جسدي للعيون تغلب فيه كيفما شاءت .. نما الى سمعي همهمات كثيرة حولي .. وشاهدت نظرات الغضب تجتاح بنات الهوى فقد بدأن يشعرن أن هناك زائرا غريبا عن المكان ومناقسا يكاد أن يخطف منهن الأضواء .. لم أبالي بهن .. وعكفت على إتمام خطتي التي رسمتها وشرعت في تنفيذها .. بعد أقل من نصف ساعة بدأ زبائن الهوى يتوافدون وكل منهم يدلو بدلوه .. فقد تشبهت بفتيات الليل فكان الحديث صريحا بلا مواربة .. وكان طلبهم فجأ يخلو من الذوق .. فجميعهم قد جاءوا لهدف واحد ولا يريدون تضييع الوقت في مقدمات لاتغني شيئا فهم يسلكون اقصر الطرق للوصول إليه ... حاولت استعراض هؤلاء الفحول واختيار المناسب منهم .. فأنا لا أبغي أجرا حتى انتظر من يدفع أكثر .. لذلك أردت التريث قليلا .. حتى وقع اختياري على احدهم .. وبهدوء قام بدفع الحساب واصطحبني معه إلى شقته ... قضيت بصحبته أكثر من ساعتين في تجربة جديدة أعيشها للمرة الأولى .. ثم تركته وغادرت بعد أن رفضت اخذ المقابل الذي أصر عليه .. و أصررت أن لا أبيع نفسي فأنا طالبة هوى ولست طالبة مال .

- تكررت هذه الأمسية والعلاقات العابرة مع عدد من الرجال لعدة أسابيع تالية .. كنت أتحجج بحجة ما واترك صديقتي في سهرتهما واذهب إلي الملهى الآخر وأكمل سهرتي مع احدهم بعد اختياره بعناية وبكل دقة وكنت ألحظ أزيداد الحنق والغضب على وجوه الفتيات الأخريات .. يبدو أن ما اتمتع به من جمال ورشاقة جسد جعلت الجميع يتهافت للفوز بي وينتظر حضوري عل أحر من الجمر .. بل أنه قد نما الى علمي أن الكثير من زبائن الملهى أخذ يسأل على مواعيدي ويسعى للحصول على رقم الجوال الخاص بي .. وهو ما أثار الكثيرات وأغضبن .. وعلى جانب أخريبدو أن تهافت الزبائن واعجابهم الشديد جعلني في بؤرة اهتمام القوادين في هذا العالم الغريب ..فقد فوجئت يوما بإحدى الفتيات تراودني للانضمام لمجموعتها والعمل تحت مظلة رجل يعمل على حمايتهن ومتابعة أعمالهن وتيسير أمورهن مقابل نسبة من الأجر ... وهو ما أفز عني جدا .. وجعلني أثور في وجهها واسبها واطلب منها الابتعاد عن طريقي هي وهذا القواد الذي يحميها وصرخت في وجهها أنني لست على شاكلتكم ولست منكم .. وهو ماجعلني انقطع بعض الوقت عن ارتياد هذا الملهى خشية تطور الأمور أكثر من هذا ..وهكذا مرت الأيام على هذا المنوال لعدة أسابيع .

- كنت خلال تلك الأسابيع اتابع الثلاثي المصري في سهراتنا بشيء من الفضول وخاصة هذا الشاب الذي يتوسطهم دائما .. ولاحظت مراقبته لي ومتابعة تحركاتي داخل الملهى ..ولكن بلا أى حديث بيننا ... حتى جاء يوم وبعد أن شرب عددا كبيرا من زجاجات البيرة وقام يتمايل على أنغام الموسيقى فوجئت به يقترب مني ويجذبني إليه .. تمنعت قليلا وسرعان ما رافقته وأدينا معا رقصة صغيرة .. مال نحوي وأسر ببعض الكلمات في أذني فهتمت منها رغبته في اللقاء والتحدث معي على انفراد ...كم كانت سعادتي وأنا اسمع منه تلك الكلمات وكأنما كنت انتظرها وأتوق إليها ولم أعي مقدار

اشتيأقي الى همساته تلك إلا بعد أن نطق بها ليهتز على إثرها جسدي وتتسارع دقات قلبي معلنة بداية مرحلة جديدة في حياتي .
- خرجت بصحبته من الملهى وجلسنا سويا في إحدى قاعات الفندق وبدأ حديثنا لم أتوقعه .

- هدير .. حاولت كثيرا التقرب إليك والتحدث معك سابقا . ولكنى اعلم عنك عزوفك عن الرجال .. وسهراتك البريئة مع صديقاتك .. لذلك خشيت أن تأخذى طلبي على محمل سىء خاصة في هذا المكان الذي يعج بمختلف أنواع البشر .. وخشيت فقدانك وعدم رؤيتك ثانية ... لذلك حرصت على عدم التعرض لك بالحديث على الرغم من اننا ابناء بلد واحد وتربطنا أوامر مجتمعنا المصري .

- نعم أنا اسهر هنا منذ عدة أشهر مع صديقتي في العمل .. نقضي يوم الإجازة معا في الاستماع إلى أغاني تلك الفرقة الغنائية ثم نفترق كل واحدة إلى حيث سكنها ..

- نعم أعلم ذلك يا هدير .. فقط أردت أن اعبر لك عن مدى إعجابي بك .. دعيني أصارك القول .. أنه ليس إعجاب فقط .. فقد تملكتي قلبي ومشاعري .. وقد حرصت في الفترة الماضية على عدم إظهار تلك المشاعر أو البوح بها .. ولكنى أردت اليوم أن اخبرك أن مجيئي الى هنا لم يكن إلا لرؤيتك بعد أول مرة شاهدتك فيها ... فقد جننا الى هذا الملهى لقضاء سهرة وتنتهي ... وبعد أن رأيتك أصررت على متابعة السهرات به حتى اكون بقربك وتنتشي روعي بوجودك .

- نعم .. نعم .. لقد فاجأنتي بهذا الحديث وتلك المشاعر الفياضة .. ولكن قبل ذلك من أنت ؟ حدثني عن نفسك وعن صديقك اللذان لاتفارقهما في جلساتك .

- نعم .. فليكن .. اسمي احمد واعمل في إحدى الجهات الإعلامية في مصر .. وجئت هنا منذ عامين للعمل في إحدى المحطات التلفزيونية الخاصة .. وهذان الجالسان معي هما أخي الأكبر محمود وصديقنا الآخر طارق .. وهما في زيارة قصيرة لهذا البلد قاربت على الانتهاء ... لذلك حاولت أن أطلعهم على معالم الإمارة .. وقضاء وقتنا نستمتع فيه بهذه الأجواء .. وكان من بين الأماكن التي زرناها هذا الملهى الذي راق لهما كثيرا .. وطلبا السهر به كل مساء بعد انقضاء اليوم .. ووافقتهما على مضمض في البداية حتى شاهدتك وتعلقت بك ... فأصبحت محرضا لهما على السهر هنا في هذا المكان الذي تعلق به قلبي وصرت من رواده الدائمين .

- لا أخفيك سرأ يا أحمد لقد كنت أرقبكم من بعيد .. أنت وأخيك وصديقكما .. وكم أثرتم فضولي كثيرا بهذه الجلسة المتزنة العاقلة في هذا الجو المشحون بالجنون والخروج عن المألوف .

- نعم هدير .. كما قلت لك نحن لسنا من أرباب تلك الأماكن ولكنها سهرات خاطفة نحاول بها التسرية عن أنفسنا وقضاء بعض الوقت في اللهو والتمتع بهذه الموسيقى وتلك الأجواء الغريبة عنا .

- وماذا عن حياتك هنا .. ومع من تقيم ؟

- بدا أحمد مترددا قبل أن يجيب على سؤال هدير .. ونظر إليها بعيون قلقة من ردة الفعل على جوابه.
- أنا متزوج منذ عدة سنوات ومعى طفلين .. ونعيش سويا هنا في إحدى البنايات القريبة من مكان عملي .
- أصابتنى غصة في حلقى عندما علمت بزواجه .. وخرص اللسان عن الحديث.. وربما لاحظ أحمد ذلك فاستطرد في حديثه قائلاً ...
هدير.. حقيقة الزواج لا أنكرها .. ولكن من ناحية أخرى هناك حقيقة واقعية لا استطيع اخفائها وهى اعجابي وتعلق قلبي بك .. رجاء.. فلنأخذ فسحة من الوقت نتعارف أكثر.. وتبادل الحديث .. ولا داعي أن نستبق الأحداث ونتخذ قرارات متسرعة ربما نندم عليها طويلاً.. ينتابني شعور أننا التقينا لنستمر .. وان القدر رسم لنا طريقاً لنسير فيه معاً ... دعينا نأخذ الأمور كماهى ولا نتسرع في الحكم على الأشياء .
- أجبته بهزة من رأسي علامة الموافقة على حديثه واستأذنته .. و غادرت إلى حيث تجلس صديقتاي .. عدت إليهما وأنا بحال غير الحال الذي كنته قبل تركهما ..

- اجتاحني شعور قوي أن أحمد هو الرجل الذي ابحت عنه .. وان الحب الذي طالما كنت انشده بات على قيد أنملة مني .. أسرني حديثه الناضج .. وأسلوبه الراقى .. ورجولته الشرقية ... وعلى الرغم من كونه حديث قصير .. غير أنى وجدت فيه ما أبغيه .. وكان له أكبر الأثر في قلبي ووجداني ... وكم شعرت بالثقة في شخصه وانتماي إليه ... حتى أنى فاجأته عند مغادرتنا الملهي بالتوجه لمجلسهم ومصافحة أخيه محمود وصديقه طارق وتبادلنا سويا حديثاً ودياً قصيراً .. صافحتهم بعده بحرارة وسط دهشة ساندر ولارا وانصرفنا .

- تكررت اللقاءات مع أحمد وأصبحنا لانفترق إلا لنلتقي .. سافر شقيقه وصديقهما ... استبدلنا سهرات الملهى بمكان آخر في احدى الكافيهات القريبة من الخليج نقضي معا أوقاتنا.. نستمتع بالمنظر الرائع للمياه وانعكاس الاضواء عليها وتحدث في الكثير من الأمور... روى لي احمد الكثير عن حياته .. و اخبرني بقصة زواجه وكيف أن الظروف زجت به في هذه الزيجة ..فقد كان زواج صالونات بعد قضاء سنوات طوال في الغربية ما بين بلاد عربية وأوربية قبل أن يستقر هنا وهو مالم يتح له إقامة علاقات مع الفتيات والاختيار من بينهن لقصر أيام الإجازات التي يقضيها في مصر .. وبعد أن أدرك أن سنين العمر تجري به ولا بد من تحقيق الاستقرار والزواج طلب من أسرته البحث عن عروس مناسبة .. وقد كان وتم زواجه وانجب بعدها طفلين ومرت بهما الايام في حياة رتيبة معتادة لم يشعر فيها بالحب والاستقرار بعدما أدرك حجم الاختلافات بينه وبين زوجته .. ولكنه أثر السلامة و الحياة في سكينه حتى ظهرت في حياته .. أفاق من غفوته وأدرك أن الحياة ليست زواج وعشرة فقط بل لابد أن يكون للحب مكان وهو ما يفنقه في زواجه ووجده في علاقتنا معا .

- سعدت كثيرا باعترافات احمد وجذبني إليه شخصيته القوية المرحبة وأسلوبه الناضج الخبير .. تركت عالم الرجال الذي عشته قبل لقاءنا سويا .. وانسقت إليه بكل جوارحي ابتغي في معيته الحب والعشق والطمأنينة والحياة التي كنت ابحت عنها .. هأنا أخيرا اعثر على الحب الذي افتقدته والحياة التي حلمت بها طويلاً .. طلقت حياة الليل وسهراته واستبدلتها بتلك السهرات الرائعة التي افضيها مع احمد في ذلك المكان الذي شهد مولد حبنا وازدهاره وأصبح محببا إلى نفوسنا .. نتناول عشاؤنا سويا ونقضي وقتا ممتعا نتحدث ونتسامر ثم يذهب كل منا إلى سكنه وقد شعر انه ملك الدنيا وما فيها .
حتى هذه اللحظة لم يكن احمد قد تحدث معي في أمر الزواج أو تناقشنا في مستقبل علاقتنا سويا .. وكنت على يقين أن طلبه هذا لن يتأخر كثيرا .. فقد لاحظت بعض التلميحات في حديثه وأدركت منها أن زواجه القائم يمنع من المصارحة والمكاشفة .. وربما كان يحاول التخطيط ودراسة الأمر برمته .. فقد اعتاد التروي في التفكير في الأمور الهامة وعدم التسرع في اتخاذ القرار .. لذلك لم أسأله يوما في هذا الأمر .. وتركت له الفرصة يستجمع شتات فكرة ويصل إلى القرار وان كنت اعلم قراره مسبقاً وانتظره .

مضت عدة أشهر على آخر زيارة للملهي الليلي الذي كنت ارتاده سابقا .. وكنت قد عاهدت نفسي الاقلاع عن ارتياد جميع الملاهي الليلية والسهر فيها بعد أن تعرفت على أحمد وتعمقت علاقتنا سويا ... وكم ساورتني الهواجس والظنون أن يعلم أحمد شيئا عن تلك الفترة التي أحاول نسيانها وعدم تذكرها .. وخشيت دوما من لقاء أحد هؤلاء الرفاق الذين أقمت معهم علاقة وإفشاءه سرنا وإطلاع أحمد عليه لسبب أو لآخر ... وكم كان يأخذني هذا الفكر وتورق مضجعي تلك الهواجس .. كانت فترة ظلام في حياتي حاولت فيها البحث عن نصف رجل يشبع رغبة جسدية .. وها انا احظي برجل كامل ملك روحي وجسدي ومعه اتملك الدنيا ومافيهها ... ولكن يبدو أن الأمور لاتسير دائما وفق ما نريد .. والرياح لا تأتي كما تشتهي السفن .. الشيء الذي كنت أخشاه وأتوجس منه خيفة يبدو أنه سوف يتحقق .. في احد الأيام بينما أتاهب لمغادرة المول بعد انتهاء يوم العمل فوجئت بتلك الفتاة التي طلبت يوما من الايام العمل معها تحت مظلة احد القوادين تنتظرني وتطلب الحديث معي لأمر هام .. تجاهلتها تماما .. ومشيت في طريقي .. ولكنها تبعتني بخطى مسرعة متحدية ... ولما لم تجد مني استجابة .. أطلقت بعض كلمات التهديد والوعيد .. كاد قلبي أن يتوقف وأنا استمع لها ... توقفت استفسر منها عن مقصدها ... فإذا بها تحتفظ بمقطع فيديو على جوالها .. ما أن شاهدته حتى كدت أفقد الوعي وأسقط مغشيا عليه .. لم ادري إلا وأنا في سيارتها في طريقنا إلى إحدى البنايات القريبة من الفندق الذي به الملهي المشؤوم ... التقيت برجل يبدو من لهجته انه من الشمال الأفريقي .. عرفت لاحقا أنه القواد الذي طلبني للعمل معه سابقاً ... حاول أن يكون لطيفا معي في البداية .. وتحدث عن مزايا العمل معه .. وطريق الثراء الذي ينتظرني حال الموافقة على مباشرة العمل في سوق المتعة والنخاسة ... وظل على هذا الحال يحاول اقناعي وبث السم في العسل لأكثر من ساعة كاملة وأنا تائهة لا أكاد استمع إلى قوله أو افقه حديثه ... وفي النهاية أصدر أوامره بضرورة بدء العمل من الليلة .. وطالبني بملاقاته في المساء بالملهي الذي عزمت سابقاً على عدم ارتياده ثانيا .. بل وكدت أنساه وأخرجه من الذاكرة .. أصابني الذهول ولم اعرف بماذا أجيبه ووقفت الكلمات على لساني .. ولكن استطعت أخيرا النطق ببعض الكلمات مستفسرة .. وماذا إذا رفضت العمل معكم ؟ ... أجابني بصوت حاد أجش وبطريقة مبتذلة .. لاشيء يا حبيبتي سوف ننشر هذا الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي وشبكة الانترنت لتتلقفه المواقع الاباحية ويراه العالم كله وكذلك أهلك وأصدقائك وسوف تصل نسخة منه لحبيب القلب احمد .. ولك أن تتخيلي الفضيحة التي سوف تلتطخك وتكشفك على حقيقتك أمام من يظنون فيك الملائكية والوقار والعفة .. ضحك ضحكة هستيرية وترك الشقة وانصرف .. لم أدري إلا والدنيا تدور بي ... ولم أتمالك نفسي ... وخارت قواي وسقطت مغشيا عليه .. لم أدري كم من الوقت مر وأنا في هذه الحالة .. وعندما أفقت وجدت تلك الفتاة بجانبني .. أخذت تنظر لي نظرات ذات مغزى .. سحبتي من يدي وخرجنا من الشقة وكلمات ذلك القواد تلاحتني .. " سوف انتظر رذك يا حلوة غدا على أكثر تقدير .. وإلا كما قلت لك ماذا سنفعل بك .. وتعلمين النتيجة " .. ركبت معها

السيارة وأوصلتني إلى شقتي دون أن تبس بكلمة ودون أن أحاول الاستماع إلى شيء منها ... وما أن أغلقت باب الشقة حتى أخذت الطم وجهي وأضرب رأسي في الحائط .. وشعرت بالأرض تهتز تحت قدمي .. وان الحياة قد تسرست من بين يدي ... وها أنذا اسقط سقطة مدوية .. لا أعلم كيف اعتدل منها وان كنت أظن أنها السقطة الأخيرة ولن تقوم لي قومة بعدها .

- لم اعد احتمل العذاب الذي أشعر به .. النيران تلتهم أحشائي و العار يلطخ حياتي .. الموت هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من هذا الكابوس ... حاولت التحدث مع احد ... استنير برأي احد .. ولكن من .. لم أجد أحدا يمكنه مساعدتي في هذا الأمر .. لن استطع الحديث بهذا الشأن مع أى شخص .. حياتي قد انتهت .. تكاد رأسي تنفجر .. وألف سؤال يراودني .. كيف حدث هذا؟ .. ومن أوصل إليهم هذا الفيديو؟ .. وكيف تم تصويره؟ .. قمت على عجل اتصل بهذه الفتاة أحاول معرفة بعض الأجوبة على أسئلتى ... وكما كانت المفاجأة عندما أخبرتني الحقيقة كاملة .. وعلمت منها انه بعد ان رأى هذا القواد مدى إعجاب الرجال بجسدي وتنافسهم للفوز بي .. أصر على تجنيدي لحسابه وضمي إلى شبكته .. فتلك الأماكن تدار بقوانين وحسابات .. ولها جنودها وزعمائها .. وقوادها .. ولكل منهم منطقة نفوذ .. فالأمور لا تترك هكذا ... ويبدو أني قد وقعت في براثن تلك العصابات ولم أدرك الخطر الذي ينتظرني ... فبعد أن رفضت العمل معهم بعد الرسالة التي نقلتها لي هذه الفتاة وقيامى بطردها وابعادها عن طريقي .. أدرك هذا الصياد ضياع الفريسة من بين يديه فقام بوضع خطته ونصب شباكه بإحكام حول فريسته ووضع لها الطعام وهى لا تدري من أمرها شيئاً .. ساق لي احد رجاله من الشباب .. وكان من الذين توددوا لي وصاحبتهم لقضاء الليلة معهم .. وقد كانت أجهزة التصوير معدة في شقته لتلك اللحظة وتم تصوير الليلة كاملة .. وهاهو القواد يهددني بهذا الفيديو وبيده اللجام يوجهني به كيفما شاء .

- ألقيت بالجوال بعيدا بعد أن استمعت من الفتاة إلى الخطة الدنيئة التي أوقعت بي ..كنت قد وصلت إلى أقصى درجات الإرهاق والجهد وخارت قواي العصبية والجسدية .. ارتميت على كرسي قريب من النافذة المفتوحة أحاول استنشاق قليلاً من الهواء بعد أن ضاق صدري وشعرت بروحي تكاد أن تخرج وتفارقني .

- ماهى إلا لحظات حتى انطلقت مئات الخفافيش .. كأنها زخات مطر في ليلة غائمة يملؤها الضباب .. اخترقت النافذة واتجهت نحوي مباشرة .. حاولت صدها .. وكما حاولت إبعاد احدهم هوجمت بمئات غيره .. تنهش وجهي وتمتص دمائي .. حتى تساقط لحمه وتناثرت الدماء في كل مكان .. أحاول الدفاع عن نفسي بكل ما أوتيت من قوة دون جدوى حتى خارت قواي وسقطت بين براثنهم ألته في ظلمات الليل ولم يتركوني الا بعد أن قضوا على ماتبقى من جسدي ... تُظلم الدنيا من حولي ويقشعر بدني بلسعة برد تسري في أوصالي .. أفيق فجأة ودقات قلبي تكاد تخلعني من مكاني بعد هذا الكابوس الذي انتابني و كاد يقتلني وينزع روحي .

- مضى يوم ويومان منذ أن علمت بهذه الكارثة وتلقيت ذلك التهديد الذي قوض حياتي وقلب أيامي رأساً على عقب .. يكاد قلبي أن يتوقف مع كل رنة للجوال أنتظر استدعاءً أو تكراراً للتهديد ... انقطعت عن العمل .. امتنعت عن الأكل .. وازددت شحوباً .. وخارت قواي تماماً .. شئت العقل والفكر ... امتنعت تماماً عن الرد على الجوال على الرغم من المكالمات العديدة التي تلقيتها من احمد ومن الأصدقاء في العمل ومن غيرهم من الأهل بالقاهرة .. لم اعد أطيق شيئاً ... كرهت العالم من حولي وانحصر فكري في تلك المصيبة التي وقعت بها ... وكلما تذكرت أحداث هذا الفيديو ووقعه على أهلي في مصر وأصدقائي إذا شاهدوا مابه .. يتزاحم عقلي بالأسئلة .. بماذا يمكنني الدفاع عن نفسي؟ . وماذا تكون النتيجة؟ .. قلبي يكاد أن يتوقف .. وماذا عن الخطوة القادمة؟ .. هل اذهب إليهم استعطفهم أن يتركوني لحالي .. إنهم عصابة بلا قلوب .. واعتادوا المتاجرة في لحوم البشر ولن يجدي معهم استعطاف أو محاولة .. ولكن ماذا افعل هل استجيب لطلباتهم الدنيئة؟ .. والى متى؟ ... وهل استطيع تحمل تلك الحياة؟ ... أدركت أنني طائر فك قيوده على ارض غير أرضه .. وانطلق حراً في سماء غير سماءه .. ولم يعي نبال الصيادين المتربصة به وسهامهم المصوبة نحوه حتى أصابه سهم نافذ فأرداه قتيلاً ..

- زاد القواد من ضغطه .. انهالت المكالمات على هدير من فتيات الليل ينقلون إليها تهديداتهم ويحاصرونها لتحطيم أعصابها .. أخذن يصورن لها حجم الكارثة التي ألمت بها وما ينتظرها ... لم يتركوا لها وقتاً لجمع شتات فكرها ومحاولة لملمة أعصابها .. أصابت سمومهم شتات جسدها وفكرها .. كادت أن تصل لمرحلة الجنون بعد أن نالوا منها وتمكنوا من كسر مقاومتها وإرادتها ... هذه العصابات تجيد تماماً فنون الضغط على ضحاياها وتحطيم أعصابهم حتى تصل بهم إلى شباكها ويصبحوا صيدا سهلاً في متناول أيديهم .. لم تجد هدير بدا من الاستجابة لطلبهم والخضوع لرغباتهم .. فليس أمامها بديل أو خيار تلجأ إليه .. هداها بقايا تفكيرها إلى الاستجابة لما يريدون حتى تكسب بعض الوقت ربما يعينها على اتخاذ القرار الصائب ... وضعها الآن لايسمح لها باتخاذ أى قرار أو التفكير في أى شيء يمكنها فعله .. أعصابها منهارة تماماً .. وحياتها متوقفة ... ولا تملك سوى لوم لنفسها والحسرة على ما فعلته بحياتها وألقى بها الى التهلكة ... أرادت الحرية واللهو ولم تدرك المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها وهاهي تسقط وتصبح العوبة في أيدي عصابة من تجار لحوم البشر .. مثلها كالسفينة التي تفقد بوصلتها وتجنح بها الرياح في خضم بحر هائج الأمواج .. ويسعى الربان للمحافظة على سلامتها والوصول بها إلى بر الأمان .. وتزمر الأمواج العاتية و سرعان ماتأخذها للأعماق بعد أن تضربها بقوة لتنتثر أشلاءها ويبتلعها البحر في جوفه .

- حاولت جمع الفتات المتبقي من ذاتي .. ذهبت إلى الملهي بعد أن أجبتهم بالموافقة على طلباتهم .. جلست بعض الوقت مع القواد الذي اخذ بعض البيانات التي تخصني بعد أن اصبحت إحدى حريمه .. رمقتي بنظرة المنتصر .. وبلهجة أمرة طلب مني الذهاب الى شقته في الغد للاتفاق ومعرفة القواعد الواجب اتباعها وتلقيني بعض النصائح الخاصة

بهذا العمل .. انتصب واقفا وتركني لمباشرة أول يوم عمل وطلب مشددا التمعن في صيد احد الزبائن مما يملكون ويمكنهم جزل العطاء ...وقد كان له ماطلب .. لم تمر دقائق قليلة حتى كنت بالخارج مع احد الرجال العرب ممن لا يملكون سوى المال ..صعدت معه إلى شقة في بناية فخمة يبدو انه خصصها لمزاجه ومتعته .. ماهي إلا لحظات قليلة حتى بدأ المطالبة بحقه في البيعة والجسد الذي اشتراه ... لبرهة شعرت بالغثيان وضاققت الحياة في وجهي ولم أطيق ملامسته أو الاقتراب منه .. مارست هذا الشيء مرارا ولكن لم يكن بهذه الكيفية ولا لهذا الغرض ..رفضته وأزحته بقوة بعيدا عني ..وفوجئت به يعاجلني بصفعة قوية على وجهي ...بصقت عليه وتبادلنا الصفعات والركلات وتبادل اللعن والسباب .. أخذت حقيقتي وأسرعت الخطي خارج المبني والدموع تنهمر على وجهي .. ألقيت بنفسي داخل أول سيارة أجرة .. صعدت إلى شقتي خائفة مذعورة .. انتابتنني وساوس الدنيا ومخاوفها ..فما حدث سوف يصل الى علم القواد لامحالة .. وكل شيء سوف ينكشف والعار سوف تفوح رائحته وتملاً الأجواء ..سوف أفقد احمد .. وأسرتي وعائلي والعالم كله سوف يتخلى عني ... ماذا تبقى للعيش لأجله .. حياتي قد انتهت ..ولا وسيلة أمامي لاستعادتها ...أسرعت إلى علبه المهديء التي كنت قد ابتعتها لتساعدني على النوم الذي جافاني بعد الوقوع في تلك المصيبة .. فتحت غطائها وتناولت أقراصها دفعة واحدةقبل أن أغيب عن الوعي اتصلت بعائدة وأخبرتها أنني قد انتحرت وفي طريقي إلى الموت .

- أسرعت عائدة مع والدها إلى بيت هدير ..وفي طريقهما اتصل والدها بالإسعاف تحسبا لما يمكن أن يحدث .. وصلت عائدة ووالدها إلى الشقة قبل وصول سيارة الإسعاف .. كانت هدير فاقدة الوعي تماما وبجانبها بقايا زجاجة مياه وبعض أقراص الأدوية متناثرة حول السرير .. وورقة ملقاة كتب عليها " أطلب الغفران من الله .. والسماح من أهلي " .. ماهي إلا لحظات حتى تتأى إلى سمعها صوت سريئة سيارة الإسعاف يتردد صدها في المنطقة ..يهرع المسعفون سريعا إلى شقة هدير في محاولة لإنقاذ حياتها ..أجروا بعض الإسعافات الأوليةبعد دقائق قليلة تبادلوا معا نظرات ذات مغزى نظرت إليهم عائدة ووالدها نظرات حائرة متسائلة .. بينما القلوب ترجف تنتظر الكلمة الفاصلة والحكم بالحياة أو الموت .

"تمت "

نصر سليمان محمد

"أديب وشاعر"

اصدارات للمؤلف :-

مجموعة قصصية "رصاصة الرحمة" -- دار المعارف

مجموعة قصصية "صرخة" -- الحضارة للنشر

ديوان شعر "فراق" -- دار المعارف

ديوان شعر "الجلاد والكأس" -- الحضارة للنشر

كتاب "شخايبط على لخايبط" مجموعة مقالات للكاتب -- الحضارة للنشر

رواية البندول -- دار ضاد للنشر

